@ketab_n
24.3.2015

آلان باديو

في مَدْحِ الحُبّ

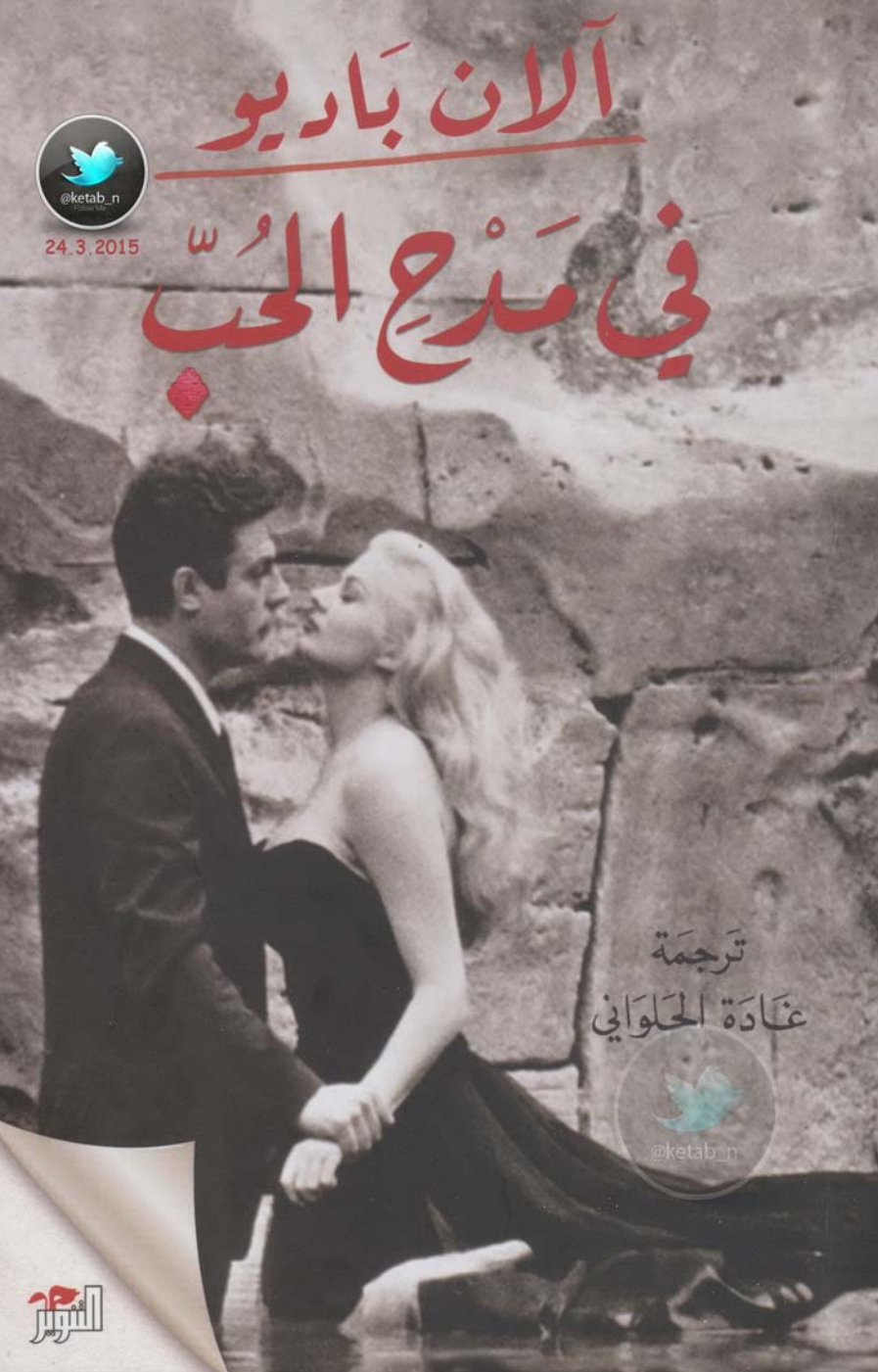

ترجمة
غادة الحلواني

@ketab_n

التنوير

آلان بَاديو

في مَدْحِ الحُبّ

تَرجمَة غَادَة الحَلوَاني

Twitter: ketab_n

آلان بَاديو

في مَدْحِ الحُبّ

Twitter: ketab_n

الكتاب: في مدح الحب
المؤلفان: آلان باديو ونيقولا ترونج
ترجمة: غادة الحلواني

عدد الصفحات: 128 صفحة

الترقيم الدولي: 978-977-85115-6-7

رقم الإيداع: 2014/13390

الطبعة الأولى: 2014

هذه ترجمة مُرخّصة لكتاب:
ÉLOGE DE L'AMOUR © Flammarion, Paris, 2009
de Alain Badiou avec Nicolas Truong

جميع الحقوق محفوظة ©

الناشر:

دار التنوير للطباعة والنشر

مصر: القاهرة-وسط البلد -19 عبد السلام عارف (البستان سابقًا)-الدور 8-شقة 82
هاتف: 0020223921332 فاكس: 0020227738932
بريد إلكتروني: cairo@dar-altanweer.com
لبنان: بيروت - الجناح - مقابل السلطان ابراهيم
سنتر حيدر التجاري - الطابق الثاني - هاتف وفاكس: 009611843340
بريد إلكتروني: beirut@dar-altanweer.com
تونس: 24، نهج سعيد أبو بكر - 1001 تونس
هاتف وفاكس: 0021670315690
بريد إلكتروني: tunis@dar-altanweer.com
موقع إلكتروني: www.dar-altanweer.com

Twitter: ketab_n

INSTITUT FRANÇAIS
EGYPTE

استفاد هذا العمل بمساندة برامج دعم النشر الخاصة بالمعهد الفرنسى و برنامج طه حسين الخاص بسفارة فرنسا بمصر

Cet ouvrage a bénéficié du soutien des programmes d'aide à la publication de l'Institut français et du programme Taha Hussein de l'Ambassade de France en Egypte.

Twitter: ketab_n

إن الحب، كما نعلم، يجب أن يُبتكر من جديد

رامبو، فصل في الجحيم، هلاوسI

فصل في الجحيم،آرثر رامبو،

ترجمة: رمسيس يونان

Twitter: ketab_n

Twitter: ketab_n

مدخل موجز إلى فلسفة آلان باديو

فابيان تاربي

Twitter: ketab_n

مَنْ هو آلان باديو؟ أهو ماوي أبدي؟ أم إرهابي فكري ذو ميول يسارية؟ اللهم إلا أن يكون المؤلِّف الذي أبهر المتخصّصين في الفلسفة المعاصرة، على الأقل، خلال العشرين سنة الماضية، ويتردد اسمه في الدوائر الفلسفية عبر العالم كله، من سيدني إلى بيونس آيرس.

إرهابي، بلا شك، ولكنّه إرهابي هرمسي هذه المرة؛ الرجل الذي يلغّم إعلاناته الفلسفية بالتعاويذ الرياضية.

نحن هنا وجهًا لوجه أمام هذا اللغز الغامض، آلان باديو؛ اسمه تارة نقيض صارخ، وتارة علامة (مرموقة لكنْ مقلقة) الفكر التجريدي والمعقّد. تعزف مواقفه السياسية لحنًا نشازًا في السماء الصافية للروتين اليومي لجدول ديموقراطيتنا التلفزيونية. يعاني من التزامه فيرتكب جريمة ألّا يدين جرائم ماو. ومع ذلك، لا ينكر أحد من المتخصصين التعقيد والأصالة في أعماله وقوّتها الإبداعية.

يجب ألا تخفي شهرة باديو- سواء مبررة أم غامضة- حقيقة أنه فيلسوف بالمعنى الخالص الذي تحمله دلالات الكلمة. هو

Twitter: ketab_n

فيلسوف بالمدلول نفسه الذي اكتسبه أفلاطون أو اسبينوزا أو ليبنتز؛ أي عبر إرادة الحقيقة التي تجد تعبيرها في نظام شيّده بتأنٍّ وصبر، واختبره مراراً بلا كلل. هل يكفي أن أصفه فيلسوفًا كلاسيكياً كذلك؟ يجب على هذه الصفة أن تنتظر حكم القرون. ومع ذلك تظل أمامنا حقيقة أن بإمكاننا أن نميّز معالم كلاسيكية واضحة في فلسفة باديو.

فيلسوف كلاسيكي، منهج فلسفي

تهدف أفكاره إلى حل المشكلات الأبدية الذي طرحها ذلك النشاط الغريب والقلق، لكن الإنساني في العمق، الذي يسمّى «الفلسفة». فكّك التيار ما بعد الحداثي، الذي أفضل من يمثله دريدا، نظَّم الفكر تحت ذريعة غموض اللغة؛ وألقى الشكّ على أي طموح واضح وإيجابي. كان على أفلاطون فعليًا أن يقاوم السفسطائيين، وأن يذكِّرهم أن الفلاسفة، على نقيض هؤلاء المتبارزين شفوياً، يبدأون بالأشياء وليس بغموض الكلمات. إن الكلاسيكي متأكد: إن مهمته ليست السلب أو التفكيك أو الشك. فمن المحتمل، بناء خطاب عقلاني وصحيح عن الكون، والشرط الانساني في مواجهة أطياف النسبية والمذهب الشكي. إن الحقيقة موجودة، والفلسفة هي التعبير عن هذا الوجود. علاوة على ذلك، لطالما عبّرت الفلسفة عن هذا، في أشكال مختلفة، ويمكن لها أن تعتمد على المذاهب العظيمة (أفلاطون وهيجل) في إدراك تاريخ الحقيقة. هناك، في نظر

Twitter: ketab_n

الفيلسوف الكلاسيكي، تاريخ الحقيقة الذي تعود استمراريته إلى المشكلات والأطروحات الأبدية. إن الفكر الذي يشارك في هذا التاريخ هو فكر كلاسيكي.

منهجيًا، هذه الفلسفة، بما أنها بناء عريض، أعطت، اعتمادًا على تقدم لافت أحرزته، مجموعة من الأفكار المثبتة (الموجبة) منذ البداية. تُميِّز مراحلها ثلاثة تطورات عظيمة: نظرية الفرد (1982)، الوجود والحدث (1988)؛ منطق العوالم (2006). تميّزت الأعمال الثلاثة بأهمية المنهج الرياضي والمنطق. تتيح دراسة الرياضيات والمنطق، بناء على بنى هي الأدق، سبر غور المشكلات الأبدية الفلسفية. إن الفيلسوف المسلَّح بهذه الدراسة هو مفكر خطير بما أن الاستنباط الذي يرشده هو فكر منهجي بديهيًا. إن الرياضيات والمنطق لا يكذبان ولا يقدمان، بسبب دقتهما، إجابة مشوشة أو مؤجلة. وبشرط أنك تستطيع تحملهما، فالمسألة كلها واضحة وجلية.

يتزامن هذا المَعلم في فكر باديو مع مَعْلَم آخر ألا وهو؛ إخلاصه لمنهج الديالكتيك. فالديالكتيك موجود منذ أن اختبر الفكر استحالة اختزال مقولة السلب من أجل فهم جُملة الأشياء. تتخذ هذه المقولة شكل[1] (Figure) الاستثناء لدى باديو. إذًا، هناك شيء ما أفلت من الرياضيات والمنطق. لا توجد

(1) المعجم الفلسفي، مراد وهبه، دار قباء الحديثة، 2007، القاهرة، ص 368. المعجم الفلسفي، جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني، 1982، بيروت، ص 707

Twitter: ketab_n

ديكتاتورية الصورة (Forme)[1]. على النقيض تمامًا: أكّد الصورة والمنطق والرياضيات على شكل الأشياء؛ لكن الكائن البشري حقّق مفاجأة الهروب جزئيًا من هذا خلال الرقي إلى شيء آخر، إلى نظام الاستثناء، والانتهاك. يأتي مع الكائن البشري الحدث. يدخل الوجود- الذي يخضع لقوانين الرياضيات والمنطق- في العلاقة الديالكتيكية مع الحدث (الاستثناء البشري): الوجود والحدث.

لا ترادف النظرية الكلاسيكية هنا الاجترار الفكري وتكرار النصوص القديمة. فلكي ترتفع إليها تحتاج إلى رؤية جديدة للمشكلات الثابتة التي تواجه الفكر؛ تسمح النظرية الرياضية وديالكتيك الوجود والحدث بهذه النظرة الجديدة التي تراجع أكثر المشكلات قِدَمًا في الفكر وتحييها. وعلى المنوال نفسه لا تموت النسَقية. فهي لا تعلن إقصاء كل شيء لا يناسب إطارها، مثلما لا تضمن إعطاء الاجابة على كل شيء. إن الحدث مفاجئ، وجياش، ولا حتمي. إنه لبّ الحقيقة البشرية التي ينسجها بأربعة خيوط؛ بأربع شبكات من المفاجآت والإبداع؛ بأربعة سبل: السياسة والحب والفن والعلم.

إن عمل باديو الذي يتناول أربعين عامًا مضت، يظهر حيوية متعدّدة الشكل. فهو يتكوّن من نصوص فلسفية خالصة التقنية، ونثرية أدبية، ومسرحيات وكتب سياسية وإشكالية. يضفر مَعْلَما

(1) المصدران سبق ذكرهما، مراد وهبه ص 377؛ جميل صليبا ص 741.

Twitter: ketab_n

الكلاسكية والنسقية في هذه الأعمال بين شهية للعالم المعاصر، وانتباه عظيم للوقت الحاضر. إن سلسلة الأعمال التي نشرت في سلسلة سيركونستانس La série des Circonstances (التي ظهر فيها كتاب «في معنى ساركوزي») تبيّن هذا؛ فهي تتعامل مع الأسئلة السياسية المطروحة اليوم، مثل: الحجاب والعلمانية، وعلاقة فرنسا بألمانيا، ووصول جان ماري لوبان إلى الدورة الثانية من الانتخابات الرئاسية الفرنسية في العام 2002....

علاوة على ذلك، يتراوح المنظار النظري للعمل من الفن إلى الحب، ومن السياسة إلى العلم. تبيّن هذه الحركات الإقتناع بأن مكان الإنسان هو اللب ويقف عند تقاطع هذه الاحتمالات. ولهذا يسمي السياسة والحب والفن والعلم «شروطًا». شروط الشخص. فمن ناحية، يمكن تعريفها بمكان مفتوح على أكثر الاحتمالات التي تقدّمها البشرية أصالة ودمـارًا. من ناحية أخرى، شروط الفلسفة، بما أن الفلسفة، ناهيك عن أنها أصل كل الأشياء، توجد عند التقاء تلك النشاطات الإنسانية فقط. إنها تسائل ذلك الذي يشكّل شروطها وتسعى لفهم ما هو على المحك في كل منها وفي وجودها المشترك كذلك.

الأطروحة الأساسية عن الوجود

ما الوجود؟ هذا أكثر الألغاز مناعة في الفلسفة؛ سفينكس أو العنقاء. تبدأ الفلسفة به منذ اللحظة الذي شرع فيها المفكرون

Twitter: ketab_n

اليونانيون في البحث عن مبدأ كل الأشياء. كان يتكوّن هذا المبدأ، بالنسبة لفيثاغورث من الأرقام. وبشكل ما يستخدم باديو هذا الحدس، الأقدم في الفلسفة الغربية. إنه يشكل عنصراً حاسماً في تعاليم أفلاطون، الذي يرى أن صيغ الرياضيات تنتمي إلى نطاق المعقول (ما يدرك بالعقل من دون الحواس) الذي يعني أعلى غايات الفكر وأصدقها؛ تلك التي نصل إليها حين نقدر على تحرير ذواتنا من الحسي والجسدي.

يمكن أن نعتقد بأن الرياضيات تقود، في أحسن الأحوال إلى مثالية من النوع الأفلاطوني، وفي أسوأ الأحوال، إلى روحانية دراسة دلالات الأعداد وتأملات قبلانية أخرى. لكنها بالنسبة إلى باديو توكيد على المذهب المادي. يرفض الفلاسفة الماديون الاستسلام إلى الخرافات الدينية ويضعون وجود المادة مبدأ وحيداً للوجود. هذا تمثيل أفقي؛ فضاء من المحايثة الخالصة مفتوح الأفق لذلك، وبالتالي فهو رافض للوهمي والترانسندنتالي (الله والروح). يعادل هذا لدى ألتوسير: «لا تحكي لنفسك قصصًا بعد الآن». عرَّف أوغسطين كومت، من جانبه، المبدأ المادي بـ «اختزال الأعلى إلى الأدنى». إذًا، العقل هو المخ ومادة الحياة. وعليه، العلم هو المدخل الوحيد للوجود. طور أبيقور مفهوم الذرّات؛ وكتب لاميتري عن الفكرة الرئيسة للإنسان على أنه محض آلة بيولوجية.

ينتمي باديو إلى هذا التقليد؛ إلا أنه جدّده من بدايته إلى نهايته.

Twitter: ketab_n

لماذا؟ لأنه نسّق المذهب المادي على أساس العلوم الرياضية. كان المذهب المادي في السابق فيزيائياً (أبيقور)، أو بيولوجياً (لاميتري)، أو تاريخياً وديالكتيكياً وسوسيولوجياً (ماركس)، لكنه لم يرتبط بالرياضيات وبالمنطق مع هذا الاتساع النسَقي. هذا ابتكار لصورة جديدة للمادية. لا يكشف البيولوجي أو الفيزياء أساس المادة بل تكشف عنها القوانين الرياضية والمنطقية التي تنظم تكوينها الأبدي.

كل شيء يبدأ مع هذه الأطروحة؛ إن الوجود هو ببساطة تعددية لا نهائية. ليس وجودًا واحدًا. إن التحدّث عن الوجود بصيغة المفرد، حيث تدعونا اللغة أن نفعل هذا باستسلام، لا يجب أن يجعلنا نتخيل نوعًا ما من وحدة الوجود؛ لا يوجد إلا تعددية لا نهائية تتفكك إلى تعددية جديدة. لا يوجد إطلاقًا نقطة نهاية، سواء صعودًا أم نزولًا؛ ولا يوجد أوّلي ولا ذرة نهائية. كان على باديو أن يمتلك البصيرة الأساسية والأولية بأن الرياضيات وحدها القادرة على وصف هذا النوع من التعددية المتفككة لا نهائيًا. إن نظرية المجموعات التي تصوَّرها جورج كانتور وأصبحت على يد إرنست زرملو وأبراهام كانتور مسلَّمة بديهية، ليست في الأساس سوى نظرية التعددية التي تنطوي على وجود مجموعة فارغة (un ensemble vide).

هذه النظرية ليست خاصة أو محلية. إنها نظرية الرياضيات ذاتها؛ قاعدتها الأبدية. تستقي الأرقام والدالّات والنقاط

Twitter: ketab_n

والعلاقات الجبرية كلها من المجموعات. كل ما يمكن تصوره مصنوع من مجموعات وعناصر. وهذه المجموعات والعناصر في حد ذاتها تراكيب وعناصر أولية لا نهائية. باختصار، اللانهائي والتعددية هما الأساس الشرعي لكل شيء. نتيجة لهذا، الرياضيات وحدها القادرة على أن تحكم على الوجود: لا تؤدي التعددية التي تتفكك تفكّكًا لانهائيًا إلا إلى الفراغ. أو لنصوغها بطريقة أخرى: لا تتكون التعددية إلا من الفراغ.

إذن لا يوجد لغز في الوجود. بالتأكيد يبحث الإنسان عن سر الوجود؛ يسعى عمومًا إلى تفسير العالم واكتشاف جوهر أو معنى الأشياء. يؤمن أنه وجد شيئًا ما «دالّ» في الأشياء. لكن الأشياء لا تحمل أي معنى في حد ذاتها. فهي تتفكك لا نهائيًا وهذا كل شيء. هنا ينحرف باديو عن هيدجر الذي يبحث بلا كلل عن «معنى الوجود». لكن بما أنه لا يوجد معنى، اتخذت فلسفة هيدجر تدريجيًا وحتميًا شكلًا شِعريًا. إن ما ننتهي إليه إذا جلسنا للتحدث عن لغز الوجود، هو غياب معناه فقط، الذي يعني فراغه. تحدّث هيدجر عن الوجود فمنحه الجلال، في حين كان يجب أن يقول بتواضع أكبر: هناك وجود وهو؛ تعددية تمتد إلى لا نهاية ونقطة نهايتها الوحيدة هي الفراغ الفارغ من المعنى.

هناك خطأن يتعلّقان بلا نهائية الوجود، بهذه التعددية اللانهائية؛ الأول هو التفسير الديني الذي يتكوّن من تصوّر اللانهائي على أنه الله. أبدًا، في الحقيقة، لا يوجد أسخف من

Twitter: ketab_n

اللانهائي الذي ينسج كل الأشياء معًا، ويركّب العالم ويحلّه دون نهاية. يتكوّن الخطأ الثاني من الإيمان بأن اللانهائي هو فوضى مبهجة وملتبسة. هذا هو خطأ دولوز. يظل دولوز رومانسي اللانهائي أو تلميذ الساحر: يُحب أن يكون العالم سحرًا أدبيًا؛ دوّامة ضخمة وفريدة، في حين أنه، على النقيض، مصنوع بوضوح من القوانين والثوابت. يتشكّل اللانهائي من قوانين صارمة ورياضية.

هذه هي الاسهامات الأساسية لكتاب الوجود والحدث. يمضي بعد ذلك كتاب منطق العوالم ليبيّن الطريقة التي تبدو بها الأشياء معتمدة على المنطق. كيف تبدو الأشياء بالنسبة لنا موحَّدة ومجتمعة معًا، في حين أنها مفتوحة على أفق من المعرفة الجمعية أو المتطورة؟ إذا اقتربت من شيء مألوف ولاحظته من زوايا مختلفة، من بعيد ومن قريب على السواء؛ أستطيع أن أقول إنه ينتمي إلى مكتبي وشقتي، وينتمي كذلك إلى هذه المدينة وهذا النظام الشمسي.

سلّمت الفلسفات المثالية مقدَّمًا أن هناك نظامًا إلهيًا في العالم أو تؤسِّس هذا النظام على قوة خلّاقة لفكر الإنسان، مثل الوعي أو العقل الذي ينظّم للعالم. هذا ما يفعله كانط، وهوسرل كذلك. بالنسبة لباديو، الظاهراتية، أي الأشياء كما تبدو، لا هي تعبير عن نظام إلهي ولا تعتمد على وعي مُنظِم. التعددية تتزاوج على مستويات مختلفة طبقًا لكثافة الظهور الذي يتنوّع. إن رؤية الأشياء صغيرة أو كبيرة نسبي بما أنه يعتمد على وجهة النظر التي

Twitter: ketab_n

لدينا عن الأشياء. يعتمد نظرنا نفسه على هذه القوانين المنطقية. لهذا تتكون «العوالم» التي تضع نُظُماً مختلفة. وفي اتّساق صارم مع المنطق الذي يسمّى «المقولات»، يمكن أن يبدو أن هذا القلم وهذه الورقة على هذا المكتب يتمتعان بكثافة ضخمة في العالم الذي هو هذه الغرفة، لكن لا يتمتعان بأي كثافة في عالم عامل صيني من بكين. في النهاية، لا يوجد إلا عوالم إلى ما لا نهاية؛ وتتميّز نسبية هذه العوالم بالاتساق وبقابليتها للاستنباط. إن اللانهائي ليس فوضويًا بل منظّم. إن النظام ليس إلهيًا أو روحانيًا، بل منطقي. ومن الوهم أن نصدِّق أن كونًا موحدًا يركب هذا التعدد غير القابل للاختزال.

من الوجود والحدث إلى منطق العوالم، تطوِّر آلاف الأوراق الوترية تصورًا عقلانيًا وماديًا للكون. كل شيء رياضيٌّ، كل شيء منطقيّ. وبقدر راديكاليتها فالاستنتاجات التي تخرج عن هذا كلاسيكية: هذه الرياضيات وهذا المنطق يثبتان لا نهائية الوجود. وعلى المنوال نفسه، وجد اسبينوزا وليبنتز دعمًا في الرياضيات لحدسهم عن العالم اللامتناهي. ومع ذلك ولا واحد منهما تخلّى عن الله؛ المبدأ الأساسي (إسبينوزا) أو المنظّم (ليبنتز) لهذه اللانهائية. محت مادية باديو هذا المبدأ؛ فبعيدًا عن أن رياضيات الوجود ومنطق الظهور علامات على النظام الإلهي، هي، نتيجة لهذا، الإنجاز ذاته للإلحاد.

كل شيء يتكوّن من بنى فقط...

ما الذي يحدث ما إن نفهم أن الكون ماكينة لا نهائية؟ من

Twitter: ketab_n

الممكن ألا يحدث أي شيء- كل شيء يتم دائمًا اختزاله إلى القوانين التي تعمل بها هذه الماكينة. هذا شيء عجب: كل الأشياء متضافرة، من المتناهي الصغر إلى المتناهي الكبر. نحن في المكان فقط، لكن منطقيًا ورياضيًا. في الحقيقة، يمكن أن تقتصر نظرة الإنسان نفسها على اكتشاف هذا اللاإنساني الذي يوجد فيه وتحتلّه البشر وتعيش فيه. هذه النظرة قد تقبض، على الأقل على المعنى الحقيقي للحكمة المادية وتشتت أوهامًا ثابتة عديدة وعقيمة تتعلّق بالله أو المعنى المطلق للحياة. هذا ليس تافهًا.... لكنه ليس كل شيء. باديو ليس عدميًا يقنع بالقول بأنه لا يوجد معنى ضمني للكون، كما هو حال التقليد كله الذي يبدأ من جورجياس إلى كليمنت روسيه، مرورًا بشوبنهور. هذه الانهزامية ليست من شيم باديو..... بالتأكيد البُنى لا إنسانية بمقتضى أنها فوقبشرية أو لا نهائية، لكنها، مع ذلك، مجرد بُنى، بالرغم من حتميتها وشموليتها.

تقول البُنى الرياضية والمنطقية للإنسان: «أينما كنت، أيما فعلت، أنت في الداخل؛ في محايثة موقف أو عالم أعظم منك بكثير. أنت بالداخل، أنت متضمَّن. أنت لست الله، وفضلًا عن ذلك لا يوجد أي إله». هذا أكيد. لن يستطيع لا فكرنا ولا أفعالنا أن ينجحا في تدمير أو تحويل نظام المادية الرياضية والفيزيائية التي تحيطنا من ميلادنا إلى موتنا. سنظل دائمًا داخلها. يحدّدنا كما نحن ذلك الذي في داخلنا، الذي يمكن أن نسميه «الحيوان

Twitter: ketab_n

الإنسان»: تلك الكينونة التي تخضع لقوانين الأشياء، التي بقدر ما هي رياضية وفيزيائية وبيولوجية، فهي قوانين نفسية.

ومع ذلك، الانتهاء إلى العدم، وإلى العجز والانتهاء إلى سخف الوجود الإنساني أو الشرط الإنساني، هو خطوة نرفض أن نقبلها هنا. من الضروري أن تكون ماديًا صارمًا؛ فيلسوفًا يفكّر أن المادية التي تحيطنا من دون أي معنى آخر، حتمية ولا نهائية، سوى المعنى الذي أحرزه المنطق والرياضيات. الله- بابا نويل الذي يخص الناضجين- غائب. هذا مفهوم. ومع ذلك، بسبب كل هذا أن نقصر أنفسنا على جمود لا إنسانية البنى- و«لا إنسانية» لأنها ببساطة فوقبشرية- يعني أن نخفق في رؤية ما نقدر عليه. ربما صدفة يأتي ما نقدر عليه، لكن هذه الصدفة على وشك أن تغيّر كل شيء.

بينما كان الفلاسفة المثاليون يبجِّلون طوطمهم، كان على الفلاسفة الماديين مواجهة السؤال عَمَّ إذا هناك أي شيء آخر في الإنسان سوى حيوانيته. إن الرأسي أو الترنسندنتالي لدى المثاليين- الذي يصبّ مباشرة في الروح أو الله- وَهْمٌ بلا شك. ومع ذلك، هل يظل الماديون من جانبهم، قابعين في تلك الأفقية الحاسمة والمطلقة؟ هل يكفي القول إن الإنسان هو حيوان إنسان؟ هل واقعنا الغريب- أنا، أنت- يمكن أن يختزل إلى حيوانية غريزية؟ لو أن هذا هو الحال فلن نكتب ولن نقرأ لأننا لن نعبر ما يسميه لاكان الرمزي والذي يغيِّر علاقتنا الأساسية

Twitter: ketab_n

بالواقعي، الذي لهذا السبب، لا يُعدّ وسيطًا. إن وعي الإنسان الذي يهمهم في غشية سكرات الموت يشهد على هذا.

إن المسألة هي أن نعرف ما الذي سوف تفعله المادية بهذا المنظور الإنساني غير القابل للاختزال. في الحقيقة لم تقدر المادية على الحفاظ على نقاوة أفقية. كانت تحمل دائمًا نوعًا من الجمل الإضافية أو الاعتراضية (بين هلالين). تمتع الأبيقوريون بقوة العقل، وإن كانت ذرية، يمكن اختيار حياة جيدة بها؛ كان لدى لاميتري ضحك وسخرية محرران؛ بينما رفض ماركس الواقع الوسيط من ناحية والأمل في الشيوعية من ناحية أخرى. إن استحالة اختزال الإنسان إلى مادة في المادية، تمنحنا الكثير للتأمل. في الحقيقة، المادية هي أولًا: البصيرة المسترجعة عن طبيعة الواقع وعن لا وجودية الله؛ وثانيًا: محررة. درسها يخلو من الأوهام. أُفٍ من الألغاز. قسوة الوقائع. ومع ذلك وعدها لا هو خضوع ولا هو قبول. هناك في الإنسان، بالصدفة، شيء ما يراوغ التفاهة اللانهائية للوجود. يوجد في الإنسان شيء آخر.

إن باديو مخلص لهذه البصيرة العميقة للنظرية المادية التي تتجاوز نفسها دومًا إلى عنصرها الإنساني. يبسط هذه البصيرة، ويكبرها ويرفعها إلى مستوًى، حصريًا، غير مدعوم. فعليًا، إن نسخته عن تجاوز النظرية المادية لذاتها محيرة بقدر ما هي صارمة ورياضية ومنطقية بنى نظريته المادية. تكمن أصالة باديو في أنه يحمل مستويي المادية إلى رونقهما الأقصى؛ فمن ناحية،

Twitter: ketab_n

لا تنازل، أيًّا كان، عن الطبيعة العقلانية والخالية من المعنى، على التوالي، للحقيقة؛ هذا يتطلب أن ندرك هذا الواقع رياضيًا تمامًا. لكن، من جهة أخرى، نعي جيدًا أن شيئًا ما يحدث، مع الإنسان، وله وبه. شيء يتجاوز البنى، على الأقل عند نقطة وجودها بالنسبة له.

هذا هو الحدث. شيء ما يحدث، هو بالتحديد ليس شيئًا؛ أي ليس عنصرًا أو مجموعة من العناصر في بينة هي الحاضر؛ يحب باديو أن يسمّيها الموقف. شيء ما قادر على تمزيق الموقف جزئيًا. وبقدر ما أن الموقف هو بنية معطاة ومحددة ومنظمة، فالحدث هو اقتحام مفاجئ من مجموعة من الأشياء، أو من العناصر، لم تكن معلومة أو محدّدة لهذا المشهد. لو تتبعنا هذه الفكرة حتى النهاية، يمكن أن نقول إن الحدث هو حصول أو ومضة، أو كشف محيّر أو لحظة أو الفراغ التحتي في الموقف المدفون في البنى.

يجب أن نشير إلى أن البنية تسلب عمومًا حدث الوجود. تقهره. حين يحصل حدث ما، يمكن حينئذ مقارنته بظهور العناصر، التي كانت حتى ذلك الوقت غير موجودة في هذا الموقف، إلى السطح مرة ثانية. هذا الظهور المفاجيء للفراغ التحتي يتسبّب حتى الآن في ظهور عناصر مجهولة فجأة في الموقف. في عشية الثورة، يمكن أن يبدو كل شيء منظَّم (هذه هي البنية)، ومع ذلك، عند الفجر، فجأة، يحدث شيء ما لم تتنبأ

Twitter: ketab_n

به البنية؛ الناس مستعدة لأي شيء، البنادق معلّقة فوق أكتافهم، رؤوسهم مليئة بالأفكار. لكل هذا، هذا الحدث لم يخرج من عدم. تكمن مصادره في الأعماق. تتكشّف فجأة هذه القوة، وبينما تضفي على البنية انطباعًا بالخواء ظهر فوق السطح، فهو كذلك، وفي المقام الأول، جَيَشَان الموقف.

عن الحقيقة والاستبصار الرائع عن الإخلاص

إن مفهوم الإخلاص مهم للغاية. إنه يعيّن الفعل الذي به نلزم أنفسنا بالعواقب الممزِّقة للحدث. يفترض الإنسان الحدث ويجد نفسه متغيرًا بسببه. يصبح فرد الحدث. إن الإخلاص للحدث هو اقتناص هذه الفرصة؛ هو العيش في الحدث ومن أجله. ألا يكون الإنسان بعد الآن مجرد حيوان أمين، حتى يوم موته، نحو الوجود الخالي من المعنى؛ إنه الإنسانية المبدعة.

لهذا السبب، من الضروري أن نسمّي الحدث وأن نتعرف على أثره وأن نصبح «مدمجَيْن» به. من الممكن دومًا إنكار الحدث، بأسلوب الفرد الذي يصفه باديو بالرجعية. هذا الفرد يدفن الحدث في وجودية الأشياء- وهو فعل سهل، في ضوء الحيادية الناجحة للوجود. في العام 1871، كان عنوان إحدى صحف باريس، القرن، في الوقت الذي كان يُعدم فيه آخر عامّيّ من أنصار ثورة باريس (1871): «حُلّت الأزمة الاجتماعية». لم يحدث إذًا أي شيء. «لا شيء حدث في المكان... إلا المكان»،

Twitter: ketab_n

كما يحب أن يقول باديو، مقتبسًا مالارميه. على المنوال ذاته، نجد اليوم من ينكر حدث مايو 1968، الذي يراه شيئًا من الماضي، أو ببساطة، موجة من الاضطراب لا معنى له، بينما هناك آخرون مخلصون لهذا الحدث ويخلّدون معناه.

نستطيع أن ننكر الحدث حينئذ؛ ونستطيع، كذلك، أن نفهم دلالته فهمًا خاطئًا إذ نفشل في إدراك أكثر صفتين إنسانيتين مهمتين. الأولى، إن الحدث القائم يتصل بالموقف دائمًا، فلا يمكن أن يغير كل شيء؛ يمكن ببساطة أن يمزِّق المواقف المحلية. نحن لا «نكسر التاريخ إلى اثنين»، كما تمنّى نيتشه؛ نحن نحوِّل المواقف من الداخل، وهو فعل ليس بسيطًا، ويحمينا من عدمية مضللة أو من اليأس الكامل بسبب العجز. الثانية، البُعد الإنساني للحدث يضيع لو تصوَّرنا أنه ينقل حقيقة نهائية ومحددة وأساسية.

إن الحقيقة هي أنه لا توجد نهاية محددة، أيًّا كانت، يمكن تحديدها للمسار الذي يفتحه الحدث للفرد. يظل معناه مفتوحًا، وبسبب هذا، نعيشه. أن نصدِّق أن الحقيقة هي بدقة وبفرادة هذه أو تلك يعني أن نجعل الحدث مهزلة. هذا يعني ألّا نرى الأساسي، وهو أن نعرف أن حقيقة الحدث تظل غير مميّزة، أو كما يحب باديو أن يقول «شامل» (générique)؛ تغير وجود هذه الحقيقة معرفتنا- التي من الآن فصاعدًا نبحث عنها- لكنها ليست في حد ذاتها شيئًا ما يمكن أن يُعرف بطريقة محددة تمامًا.

Twitter: ketab_n

بناء عليه، لا توجد نهاية للبحث، الذي يطرح فرضيات تتعلق بالحقيقة. من هذا المنظور، الحقيقة تماثل ما نسميه **شاملا**، ظهر وجودها على يد الرياضي بول كوهين بالرغم من أن تكوينها مجهول.

يدرك الجميع تمامًا أن الحب يتشكّل من مسارٍ، وبناء أو رحلة نقطعها معًا في مواقف الحياة وبُنى لا تُعدّ، مثل العائلات، وأماكن العيش والأصدقاء والمهن. لكن من الذي يستطيع أن يقول حقًّا مما تتشكّل حقيقة الحب؟ الطريق غير مقرَّر ومفتوح: يمر عبر الحوادث والمراحل من دون أن يمتلك أيٌّ من العاشقين معناه. ولا يعرف أيٌّ منهما ماذا سوف ينتج عنه. يمكن أن تقول: «أحبك» وتكون مخلصًا لهذا الإعلان، لكنك لا تستطع أن تقول ما هذا الحب الذي يجعلنا نعيش أشياء ومواقف معاً «اثنين»، ومنبع سره في اختلاف النوع. الحب فعل أكثر منه تفكير. إن ولادة طفل حتى، لا يعتبر بالنسبة إلى الحب نقطة وصول بل موقف جديد للمشاركة. تبني الحقيقة دائما نفسها هنا في ما يمكن أن نسميه «إجراء الحقيقة». لا يمكن تحديده أو فهمه موضوعيًا، ومع ذلك، لا يمكن أن نعتبره لا شيء؛ فهو يفعل وينتج نفسه إجراءً.

إذن الحقيقة ملموسة؛ ليست تمثيلًا عقليًا بسيطًا، إنها ما نصنعه من حبنا. لا ينتقص من قيمة المسار المدمج بالحقيقة أنها غير مميزة أو عامة فقط، بل إنه حقًا ما يتيح الامكانية للفرد أن

Twitter: ketab_n

يوجد. على النقيض حين تؤمن أنك تمتلك حقيقة الحب، حين تعتقد بأنها هذه أو تلك بالتأكيد، تضيع منك في الحقيقة حينئذ.

بالمثل، لا يوجد ما هو أكثر كارثية في السياسة من أن تعلن إيمانك بشكل من أشكال الكمال الذي يضرّ الشمولية. الشمولية لها معنى خاص هنا. لا تدل على نظام فكري يتجاهل الفردية بل تدل على حكمة غير المميّز والعام؛ بالمعنى الذي أشرنا. إن من يأتي ليعتقد أن هذا الذي يشترك فيه الجميع لا تميزه الفردية أو المجتمعات التي تختلف- من دون أن ينكر هذه الفردية وميزة عدم قابليتها للاختزال- يجد نفسه مندمجًا في هذه الشمولية. على النقيض، يرفض «الفرد الغامض» هذه الشمولية المفتوحة للجميع، التي تتجاوز الثانوي أو التمييزات. يطابق هذا الشخص الحقيقة مع إيديولوجية ما أو دين ما، وهو ما يعني معرفة زائفة تحتل مكان حقيقة معاشة وغيرمحدَّدة.

العيش شخصًا أو السعادة في فكرة

آلان باديو هو مفكر الفكرة. لعلك تقول إن كل فيلسوف مفترض، بالتعريف، أن لديه أفكارًا. تظل حقيقة أنك يجب أن تعرف ماذا تعني فعليًا «لديه فكرة». لماذا على سبيل المثال من الضروري هنا أن نكتبها بخط ثخين أسود؟

ليس من الطبيعي بالنسبة للكائن البشري أن يرتبط بفكرة. يعتمد كل شيء، في المقام الأول، على ما المقصود بـ«كائن

Twitter: ketab_n

بشري». يمكن اختصار «الكائن البشري» إلى «حيوان إنسان» حين يتعلّق الأمر ببساطة بعمليات تخضع لقوانين طبيعة الجسد والعقل. يسعى الجسد إلى الإشباع؛ يتناسب الفكر مع الأشياء تناسبًا أنانيًا، من دون أن يذهب إلى أبعد من التأملات السطحية أو الروتينية. كم هو قوي هذا الجزء من وجودنا، شيء معروف لنا جميعًا. ويمكن أن نخسر بسهولة ذلك الأساسي داخلنا. لا توجد فكرة في هذه الحالة؛ بل حياة بلا مشاعر ببساطة. فلان وفلان يقبّل زوجته بآلية، الذي لا يحبها أكثر مما يحب مسكنهما. يعلن فرد آخر: «إن ما يحكمنا ليس سيئًا إلى هذه الدرجة، إذا أخذنا بالاعتبار الموقف بأكمله وأننا لا نستطيع أن نغيّر من حقيقة أنه سوف يوجد دائمًا أشخاص فقراء وآخرون أغنياء». أو ربما يفكر في أن يصبح غنيًا: «لا أبالي بما سيحدث حين أموت..». يشعر فرد ثالث بالسعادة لأنه على علاقة مباشرة أو متخيلة مع الواقع يغامر في العالم، بهدي من غرائزه فقط. وأخيرًا، رابع لا يرى أن العمل الفني، بأية حال، يمكن أن يحرِّك المشاعر أو أنه منبع من منابع الكشف، أو يؤمن ببساطة أن الفن لم يكن أبدًا سوى نوع من الايقاع المهدّئ للأطفال الرضّع.

إن الفكرة هي الإمكانية المتاحة لكل شخص أن يُخرِج الأفضل داخله والأكثر رفعة، وبصرف النظر حتى عن الموت، أن يصل إلى ذلك، الذي بداخلنا كلنا، الخالد. بكلمات أخرى، الفكرة ليست تمثيلات عقلية بسيطة وهمية على نحو أو آخر،

Twitter: ketab_n

أو محض ظاهرة ثانوية للمخ. هناك عظمة وكبرياء في الفكرة. أن ترفع نفسك إلى مستوى الفكرة، يعني أن يخلق الإنسان بنفسه نمطًا من الوجود والعيش له، ويدرك، بناء عليه، أن الحياة تستحق أن تُعاش بأكملها، وأن الجزء- الأثمن- من نفسه يعتمد على هذا. هذا الجوهر الإنساني، الذي لا يُمنح طبيعيًا هو ما يسميه باديو الذات. وكما هو واضح، الشخص ليس مجرّدًا أو وعيًا في الأساس، كما هو لدى ديكارت، ولا ذلك المركز الذي يسمى «أنا» الذي ينظّم أو يشكّل خبرة العالم - كما هو الحال بالنسبة لكانط أو هوسرل.

إن تحديد الـذات الذي يمكن أن ينبثق داخل الحيوان الإنسان- على الأرجح بالرغم من نفسه- لا يقسم العالم إلى اثنين، لا يطرح وجود أفراد استثنائيين من جهة، وحيوانات بشر من جهة أخرى. يحمل كل منا الميلان: القوة الجاذبة في الحيوان الإنسان الذي يرضى بما يوجد؛ والجمالية المحتملة في الشخص التي تفتح نفسها على شيء آخر؛ على الفكرة. نحن محاصرون دائمًا وأبدًا في هذا الجسد وهذا العقل اللذين هما ملك لنا، ومع ذلك، في الوقت ذاته، نحن مسيَّرون نحو الأفضل، لكن نحو الأكثر إلحاحًا كذلك؛ إلى الأفكار. لا يوجد من هو مستثنى من هذا، كل واحد يسحب وجوده من واحد إلى آخر، من الحيوان الإنسان إلى الذات الذي يمكن أن يكون. كل كائن بشري هو ذات بالقوة. بناء عليه، إن النقد الأساسي الذي

Twitter: ketab_n

يوجّهه باديو إلى زمننا هو أنه نسي أن الذات توجد عمليًا في الحيوان الإنسان. إن بناء الذات ضرورة. سهل علينا أن ننسى أو ننكر الذات داخل أنفسنا؛ فالبيئة الاجتماعية التي يغرق فيها الحيوان يومًا بعد الآخر تساهم في هذا.

في النهاية «أن تعيش ذاتًا»، أن تعيش من أجل الفكرة، هو مصدر سعادة، وهناء. ومع ذلك، لا يزال علينا أن نقدر على الوصول إلى هذه الاحتمالية. علينا أن نقدر على مقابلتها، وتعزيزها بصبر؛ وهو أمر يحتاج إلى شجاعة أو إخلاص، ذلك أن كل الأشياء في العالم تهدّد دائمًا بإخماد الفرح الذي نشعر به. هناك عدة عقبات عظيمة في سبيل تحقيق العدالة إلى ذلك الحد الذي تقدر عليه الإنسانية.

يعزز وقتنا الحاضر على سبيل المثال سياسات من دون أي مفاجآت. صوّت لليسار أو صوت لليمين، صوِّت، ثم دع السياسيين يفعلون ما يختارون. وفي جميع الأحوال، تكافئ عدم المساواة بين الناس السخرية الهادئة للرأسمالية فقط. «عليك أن تقبل العالم بما هو»؛ هذا هو القول المأثور الخالد لدى الحيوان الإنسان. يتكيف الأخير مع هذا العالم، أو يناسبه. تهيمن الدعائية الأفيونية على عصرنا. لدينا تسلية جماعية بدلًا من أن نكشف عن المقاطع الموسيقية المذهلة للفن بداخلنا، ولدينا تعزيز استعراضي وسطحي للعلم، بدلًا من عرض ضرورته الحقيقية. وبالمثل، نقنع بحب أصبح تقليديًا، أو بحياة فردية

Twitter: ketab_n

أنانية أوسوداوية، أو مكافئ ما تلذُّذي بين الرغبة والحب. هل هو حقًّا حب، حين لا يختلف عن إشباع احتياجتنا أو المشي في الشارع؟ وحين لا يختلف التصويت عن الشراء أو الاستهلاك، فهل يعد التزاماً سياسياً حقًّا؟

لا يرغب باديو في أن يحكم علينا بالضرورة المؤلمة. حين تعيش الذات فينا، ندرك سعادة كونها مدمجة في الفكرة أو مخلصة لها. من الأفضل أن نحارب من أجل المساواة- تلك الفكرة السياسية- من أن نقبل عدم المساواة الواقعية والبنيوية للعالم؛ من الأفضل أن نعيش من أجل الحب، في وسط الزوابع والتفاهات، وبلا شك، الأطباق الطائرة، من أن نعيش من أجل تنفيذ الوصية التافهة «استمتع!» التي يعرف الجميع في الواقع أنها غير كافية وعُصابية إجمالًا. أن أعيش من أجل معرفة الحقيقية، حتى وإن كان من الصعب الوصول إليها وقد تتطلب صبري، لكني أستطيع تذوق ثمرتها الحدسية فعليًا؛ أن أعيش من أجل الوصول إلى معرفة جديدة، بدلًا من أن أعيش من أجل شِرك الخطاب المختل للتنجيم والدعائية الإعلامية وزيفهما. أن أعيش من أجل أن أدرك ببهجة الأسلوب الذي به يخترقني عمل فني ما، عوضًا عن أن أعيش من أجل تسلية جماهيرية لا تتوقف.

من المستحيل فهم ما الاندماج في فكرة ما لم تتخلَّ عن كل مفاهيم الذات السيكولوجية؛ كل التصورات عَمَّ نعتقد أننا في الأساس: «أنا». لا تتطابق مع الذات والوعي. يمكن أن يكون

Twitter: ketab_n

الوعي أعمى عن الحدث، عن حقيقته، عن الفكرة، ويضيء ببساطة حياة الحيوان. يجب على الفرد، بالطبع، أن يكون واعياً، وإلا لن يكون قادراً على التعرّف على الحدث أو أثره الدائم، وعلى أن يصبح مخلصاً له أو مندمجاً فيه. لكن أن نكون واعين لا يكفي لرفع أنفسنا إلى مستوى الذات. بالمثل، يجب، بالقرارات التي نتخذها، أن نعيد توكيد هذا الإخلاص، ونتمسّك بالقرارات التي اتخذناها أساسًا للاستمرارية باسم الحدث.

إذن، هناك في كل كائن بشري يصبح ذاتًا، فعل تعرُّف واعٍ. ومع ذلك، لقد فهمنا القليل الثمين عن الذات التي يجب علينا أن نختصرها إلى الشعور أو الوعي بأننا نكون شخصًا أو كينونة فردية: جون، آلان، إيزابيل، فابيان... لكي نصبح مدمجين داخل الحدث يستلزم بالضبط أن نصبح غير مدمجين في الأنا، في ذواتها الصغيرة؛ وفي بعض الأحيان، حتى في جسدها. من المستحيل، على سبيل المثال، أن يكون لي جسد سياسي، كما من المستحيل ألا ترتبط فكرة المساواة بعلاقة مع التفكير الأناني بمصالحي الخاصة. إن الجسد السياسي عام للنشطاء الذين يتشاركون الرغبة ذاتها في تحقيق المساواة. إنها تعددية الأفكار والأفعال الجسدية، والتظاهرات والشعارات، التي تعرفها تلك الفكرة وتوحِّدها نسبيًا، والتي ضمنها تصبح «أنا» مدمجة ببساطة، إذ تشارك داخل الذات الجمعية للسياسة. إذا تجاوزت نفسك، تستطيع، بهذه الطريقة فقط أن تنتبه إلى الحدث، وتصبح

Twitter: ketab_n

مخلصًا له. إن الذات ليست الفرد. إنه الفرد الذي يصبح ذاتًا بتجاوز الأنا الوجدانية والفكرية.

الشروط الأربعة

يمكن أن يكتسحني حرفيًّا عملٌ فنّي، يقذف بي خارج الروتين المادي ويخلق عالمي الصغير. شكرًا لهذا العمل، وليد يجيء فجأة إلى النور في ما اعتبرته سابقًا لا شكل له تمامًا. شكل مستحيل يصبح واقعًا. يمكن أن أستسلم إلى هذا المستحيل الذي أصبح عملًا فنيًا، كما يمكنني أن أقاومه بأن أرفض الحقيقة التي ينقلها في مظهر الحدث.

فلنستمع إلى شونبرج، على سبيل المثال. ربما يقول الحيوان الإنسان أن هذه الموسيقى «مملة» أو«تفتقد إلى الهارمونية»- على منوال أن الرومانسية كانت فضيحة للكلاسيكيين- من دون اقتحام حقيقتها. إن هذه الموسيقى لا تبتكر مفهومًا جديدًا لسلّم النغم؛ إنها تسمح لنا أن نفهم أن سلّم النغم القديم ليس إلا احتمالًا واحدًا من بين احتمالات. إنها تنقل لا نهائية الإنسان.

إن مشاعر الحيوان الإنسان الذي يشعر بالملل، أو القلق أو الحنق أمام عمل فني، هي إذن عقبة أمام الخبرة الفنية. إنها عقبة أمام تحوّلنا إلى ذات أيضًا. تلفظ عواطف الحيوان العواطف السعيدة التي تنتمي إلى الذات. لأننا نكتشف، أننا نشعر بالسعادة تمامًا حين نصبح مخلصين لتجربة الحقيقة، وتبقى الفكرة

Twitter: ketab_n

مرشدة لنا. ومع ذلك، هذا لا يحدث مباشرة، طالما توجد ثنائية الحيوان والشخص.

بالمثل تطالب السياسة أن نعرف كيف ننزع الفرد عنا ونترك ابتذالنا الطبيعي جانبًا، من أجل أن نصبح ذاتًا. لا يوجد شيءٌ أكثر إلحاحًا من هذا. أن نولي اهتمامنا بالشمولي، أو نوجّه وجودنا (إلى جانب كل شيء في موقفنا الشخصي نستطيعه) نحو هذه الحقيقة المبهمة دائمًا: هذا ما تستوجبه الحرب من أجل فكرة المساواة. تنكر الفاشية والقومية هذه العدالة على الإطلاق؛ لا يملكان تصورًا عن الشمولي بأنه وضع لا يحوي استثناء أو هيراركية بين الأفراد. إن «بلد المنشأ» و«الأفضلية القومية» هما نفيهما. تقدّم «الأطروحة الشيوعية» للإنسانية الكلّية والمساواة. هذه الأطروحات يجب ألّا تُقيّم بناء على الثورات الشيوعية والديكتاتوريات؛ من السهل مطابقة الحقيقة التي تنقلها مع إخفاقات التاريخ، وندع الرأسمالية تهرب مع بعدها الساخر. يتحدث باديو في بعض الأحيان عن الشيوعية الشاملة من أجل أن يشدد على أن الفكرة لا تعبِّر عن التاريخ المسموم لكلمة «شيوعية».

إن هؤلاء الذين يطابقون ما يسمى تطرفات الشيوعية والنازية فاتهم إذًا تمامًا الدلالة الفلسفية للشيوعية. الشيوعية هي اسم مسوِّغ للحقيقة السياسية الوحيدة، التي هي مساواة الجميع من دون تقييد. إن أفق فكرة الشيوعية هو حقيقة السياسة، حتى

Twitter: ketab_n

إذا تحتاج هذه الحقيقة إلى أن تبدأ باستمرار من جديد، ما دام لا يوجد نهاية واحدة لها. هذا يكفي لتمييزها عن الأشكال الديكتاتورية للدولة الشيوعية في القرن العشرين. إن الرأسمالية من جانبها هي ذلك النهم الشرس للبنى الفكرية التي يتم إدراكها واستساغتها على أساس نمط الحيوان في الجنس البشري، أو الحيوان البشري. تناظر الأمم في حد ذاتها الأجساد البشرية، ما دامت، مثلها، مسلَّمات باعتبارها وقائع طبيعية أو بنى حالية، لكنها ليست حقائق.

بالنسبة إلى الحب، فهو خبرة اثنين. نعيش، اثنين، خبرة الاندماج المخلص داخل الفكرة. خلال حدث اللقاء والإخلاص الذي يتكوَّن، نُخلق معًا اثنان بينما كنا في السابق وحيدَيْن. من الذي لا يدرك حتى الآن أن الرغبة الأنانية ليست حبًّا؟ من يخفق في رؤية أن من الضروري أن نصبح غير أنفسنا لكي نحب؟ هاهنا، نقيض لقانون الرغبة في حد ذاته، ضرورة نزع فردية الأنانية باسم الفكرة؛ فكرة أن نعيش منذ الآن فصاعدًا اثنين، أن نتشارك الموقف من وجهتي نظر. إذن ذات الحب ليس هو أو هي، بل ذلك الذي يتجاوزهما في نحن، وينسجم مع ذلك الواحد والآخر، من دون أن يحدث انصهار أبدًا في أي وقت، فالانصهار ليس سوى وهم. في الحب يربط الإنسان نفسه بآخر من أجل أن يشكِّل ذاتا معه أو معها.

تُختبر الحقيقة، أخيرا، في شرط العلم خلال سياق مماثل لذلك الذي في الحب والعمل الفني والسياسة؛ أساسا، الزهد

Twitter: ketab_n

الذي به يتم نزع فردية طبيعتنا الأساسية. من الضروري أن نشجب ذاتيتنا التافهة، وآراءنا وتحيزاتنا من أجل أن نحقّق الموضوعية. في هذه الحالة، تصبح «الموضوعية» الاسم الذي يمكن أن يمنح لمجموعة من البنى التي تحرّر العالم من معاناته وأن تنقل خصوصية وجهة نظر الفرد والآخر. فعلى سبيل المثال، فهم الأرقام والحساب لا صلة له بالمشاعر أو التفضيلات الشخصية.

يمكن أن نعتبر المعرفة العلمية، مثل الفن على سبيل المثال، تشرح الصور أساسا: الحقائق والنظريات والبروتوكولات. تلك الصور تقبض على عناصر التجربة واستشراف العالم وخصائص الحقيقة. إنما من ناحية ثانية، تفلت منها العديد من العناصر الأخرى، إلخ. لكن يمكن أن يقع حدث فجأة؛ اكتشاف علمي، على سبيل المثال، أو تركيب نظري عبقري يربط الحقائق أو النظريات التي كانت منفصلة حتى الآن؛ بالتالي ينتقل كل هذا إلى علاقة تنشأ بين ما تقبض عليه الصورة وذلك الذي لا يزال ينتظر أن تقبض عليه الصورة.

هذا، إذن، حدث داخل نظام العلم. تغزو الصورة أراضي جديدة، وتبلبل هذه الجِدّة أوجها معينة من المعرفة وتعيد ترتيبها في إطار عمل جديد يحتويها أو يمنحها معنىً مختلفًا. إذًا لقد غيّرت نظرية المجموعات لدى كانتور عميقا مفهوم الرقم والنقطة في الرياضيات. أصبح كل منهما حالة خاصة في النظرية التي تتميز بعمومية أكبر من الجبر أو من هندسة اقليدس.

Twitter: ketab_n

بالمثل، حولت فيزياء الكم المفاهيم الحتمية التي بدت طبيعية وتخص تماما المعرفة العلمية. فتحت الصيغ النظرية والحسابات الرياضية أفقًا ابتكاريًا جذريًا جديدًا: لا حتيمة الظاهرة الفيزيائية على مستوى المقياس النووي. تغير كل شيء جذريا على هذا السلَّم القياسي: العلاقات السببية، وحتمية الخاصية، تفرد جزيء المادة... إن هذا يستوجب علاقة جديدة حقا بين ذلك الذي قبضت عليه الصيغة القديمة للحتمية الكلاسيكية وذلك الذي كان كامنا في الرياضيات. اكتشفت المعرفة العلمية غنى في ما هو استثنائي لها في حد ذاته: ظواهر الفيزياء اللاحتمية.

ومع ذلك، توضح بلا شك نظريات آينشتين في النسبية العامة والخاصة أفضل توضيح قوة الحدث في تعديل الصور التي بدت بديهية تماماً تعديلًا جذريًا. وكما حوّل شونبرج الصور الموسيقية التي بدت ثابتة، بلبل آينشتين التمثيلات الانسانية جدًا والأمبريقية لصور المكان والزمان وعلاقاتها داخل صورها.

الكلمة الأخيرة تخصّ الأخلاق

نؤمن أحيانا أن الحقيقة هي شيء يمكن أن نتمسك به كما لو أنها شكل من المعرفة الذي يمكن حيازته؛ أو نؤمن بحدث كالثورة فريدًا وحاسمًا وكلّيًا. هذا ما يعطي الولادة للأمم الفاشية أو القومية أو الشمولية؛ والغيرة أو الانصهار الأناني في الحب؛ ورفض التجريب الفني؛ والتعمية في العلم. لكن الإنسانية لا

Twitter: ketab_n

تصل الى الحقائق الحاسمة؛ لا بد أن تكتفي بتلقي الامكانية اللانهائية والمبدعة للحقائق.

ليس من السهل دائمًا أن نخلص للحدث الذي به نصبح ذات الحقيقة. إنْ آجلًا أو عاجلًا، سوف نقابل عقبات سياسية وشجارات منزلية أو لا مبالاة نحو الآخر أو خيبة فنية أو خمود علمي. ومع ذلك عواطف الحماسة والسعادة واللذة والفرح سوف تخوّلني تجاوز هذه الصعوبات؛ على شرط أن استمر في متابعة طريق الاخلاص والاندماج. هذه هي الأخلاق. إنها ليست مجموعة من القواعد السلوكية المحدد سابقا. إنها تتشكل من المتابعة والاستمرار على طريق يفتحه أمامي الحدث الأصيل.

تتشكل الأخلاق إذن من اعتراف الإنسانية بوجود الحدث؛ أي بإيمانها بالحدث، بإيمانها أن شيئًا ما يمكن أن يحصل يغير المعطى أو الأشياء مما هي عليه بأسلوب حقيقي وليس ظاهريا ببساطة، كما نقفز من برنامج تلفزيوني إلى آخر آليًّا. من بوسعه ألا يرغب في الحدث **والفكرة** والحقيقة والسعادة المفارقة، الكلّية أيضا، بالاندماج في كل هذا؟

رياضيات صارمة للوجود، لكنها فكر **الفكرة** القوية والمفرحة: باديو هو اسم في تاريخ الفلسفة؛ اسم لتركيب جديد بين جلاء مذهب المادية وأمل المثالية الذي لا يقهر.

Twitter: ketab_n

Twitter: ketab_n

مقدمة الكتاب

Twitter: ketab_n

Twitter: ketab_n

يجب أن يضع الفيلسوف في اعتباره أنه لا يختلف عن أي شخص آخر في مواجهة ظروف الحياة العديدة. ومع ذلك، إن حدث ونسي، سوف يذكِّره بقسوة التقليد المسرحي، خاصة الكوميدي منه، بهذه الحقيقة. ففي نهاية المطاف يقدِّم التقليد المسرحي شخصية قديمة وهي الفيلسوف مغرمًا، الذي تتبخر تماما حكمته الرواقية وعدم ثقته الكاملة في الحب لحظة أن تكتسح امرأة فاتنة مدوِّخة الغرفة فتعصف به للأبد.

لقد أدركت هذا منذ زمن بعيد. وطرحت أن الفيلسوف (وتحت هذه الكلمة التي تضمن الحياد، أعني كذلك بديهيًا، الفيلسوفة) يجب أن يكون عالمًا بارعًا وشاعرًا هاويًا وناشطًا سياسيًا، بل وعليه أن يقبل حقيقة أن حقل الفكر ليس محصَّنًا أبدًا أمام انقضاضات الحب. العالم والفنان والناشط والحبيب، هذه هي الأدوار التي تقتضيها الفلسفة من ممارِسها. لقد سمَّيتهم الشروط الأربعة للفلسفة.

ولهذا وافقت فورا حين دعاني **نيقولا ترونج** إلى عقد حوار عام معه عن الحب، ضمن سلسلة «مسرح الأفكار» الذي ينظمه

Twitter: ketab_n

مع مهرجان أفينيون. بدا لي هذا المزج بين المسرح والجمهور والحوار والحب والفلسفة كوكتيلًا مُسكِرًا. علاوة على ذلك، كان من المقرر أن يُعقد في 14 يوليو (2008)، وأبهجني أن نحتفل بالحب- هذه الطاقة الكوزموبوليتية والملتبسة والجنسية التي تتخطى الحدود والوضع الاجتماعي معًا- عوضًا عن أن نحتفل بالجيش والأمة والدولة.

تخايلنا قليلا: يلعب نيقولا دور المحاوِر، وأنا ألعب الدور الغامض لفيلسوف الحب. لقد عملنا جيدًا معًا ونجحنا. وأقول من دون تردد: حقّقنا انتصاراً عظيماً.

كان لدى مجموعة **فلاماريون** للنشر فكرة جيدة حقّقت صدًى حسنًا؛ ففي البداية ظهر الحوار في شكل صوتي (أسطوانة مضغوطة -(سي دي)- للجلسة) ثم بعد أن حقّق نجاحًا، ظهر في شكل مكتوب (كتاب). إن النص الذي على وشك أن تقرأه، عزيزي القارئ، هو إعداد لما قلناه في يوم اللقاء؛ يحتفظ بالايقاع العفوي والوضوح والطاقة، لكنه أكثر اكتمالًا وصقلًا. أعتقد أنه من بدايته إلى نهايته، يعكس حقًّا العنوان: **مدح الحب**، يشدو به فيلسوف يؤمن مثل أفلاطون الذي أقتبس كلماته: «إن الشخص الذي لا يتخذ الحب نقطة بداية له لن يعرف أبدًا ما هي الفلسفة».

وعليه، أمامك آلان باديو المحبّ، الفيلسوف، يتلقّى هجوم نيقولا ترونج، المحاوِر الحكيم والفيلسوف. وبالطبع المُحِبّ.

Twitter: ketab_n

الفصل الأول

الحب تحت التهديد

Twitter: ketab_n

Twitter: ketab_n

● في كتاب «معنى سار كوزي؟» وهو الذي أضحى في ما بعد كتاباً شهيرا، تطرح للنقاش أننا «يجب أن نبتكر الحب من جديد، ولكن يجب أن ندافع عنه كذلك ببساطة تامة، لأنه يواجه تهديدات من جميع الأطراف». كيف هو مهدد؟ كيف، برأيك، اكتسبت الزواجات التقليدية المرتّبة عادات العصر الحالي؟ أعتقد بأن الدعاية التي يقوم بها الموقع الالكتروني ميتيك Meetic لتنظيم المواعيد الغرامية قد صعقتك على وجه الخصوص...

■ هذا صحيح، تغطّي باريس ملصقات الإعلانات عن الموقع الإلكتروني ميتيك للمواعيد الغرامية، وهو العنوان الذي جعلني أتساءل بتعمّق. يمكن أن أذكر لك عددًا من الشعارات التي تستخدمها حملته الدعائية. أولها -وهو تحريف لعنوان مسرحية مارفيو، لعبة الحب والحظ: «إحصل على الحب من دون أن تنتظر الصدفة!»، ثم آخر يقول: «نستطيع أن نحب من دون أن نقع في الحب».

إذن: لا نَشْوَة، أليس كذلك؟ ثم لدينا: «تستطيع أن تحب على الوجه الأكمل بلا معاناة!» وكل هذا بفضل موقع ميتيك

Twitter: ketab_n

لتدبير اللقاءات الغرامية..... الذي يقدم لك فضلا على ذلك- وتبدو لي العبارة فريدة تمامًا- «تدريب على الحب». إذن هم يمدّونك بمدرِّب يعدّك لخوض الاختبار. أعتقد بأن هذه الدعاية الترويجية تعكس مفهوم الأمان في «الحب». إنه حب مُؤمَّن في مواجهة كل المخاطر: سوف تحصل على الحب، لكنه سوف يحسب لك جيدًا علاقتك العاطفية، وسوف يختار لك شريكك بحرص شديد عبر شبكة الانترنت- بالحصول، طبعا، على صورة فوتوغرافية له، وذوقه بالتفصيل، ويوم مولده، وبرجه، إلخ- ويمزجها في خليط، فتقول لنفسك: «هذا خيار آمن يخلو من المخاطرة!» وهكذا، هذا يُسمّى ترويجًا؛ ومن المدهش أن الحملة الإعلانية التلفزيونية تتبناه. وبالطبع، كما أنني على قناعة أن الحب كما هو متعة جماعية، وكما أنه الشيء الذي يضفي المعنى والكثافة على حياة كل شخص تقريبا، فإنني أعتقد أن الحب لا يمكن أن يصبح هدية تمنح في غياب تام للمخاطرة. بإن منهج ميتيك يذكّرني بالدعاية الترويجية التي قام بها الجيش الأمريكي حين كان يروِّج لفكرة القنابل «الذكية» والحروب التي محصِّلتها صفر من الموتى، بـ عبارة «صفر قَتْلى».

● إذن هل تعتقد أن هناك صلة بين الحروب التي محصِّلتها صفر قتلى، والحب الذي محصِّلته صفر مخاطرة، على نفس نهج عِالَمي الاجتماع ريتشارد سينيت وزيجمونت بومان اللذين

Twitter: ketab_n

يريان تناظرًا بين «لا التزام نحوك» الذي تقوله الرأسمالية للعامل الموقَّت (الذي يفتقد إلى التأمين الوظيفي / العمل الرسمي)، و«الا التزام من جانبي» الذي يقوله «الحبيب» لشريكه بينما يطوفان في عالم تنشأ فيه العلاقات وتنفصم باسم التحرّرية المريحة والاستهلاكية.

■ على الغالب الأرجح، إنه السيناريو ذاته؛ حروب محصِّلتها صفر قتلى، وحب محصِّلته صفر مخاطرة، لامجال للعشوائية والصدفة، إنني أراه، مع كل وسائل الحملات الترويجية واسعة النطاق، التهديد الأول للحب. وهو ما أود تسميته التهديد الآمن. في النهاية، لا يختلف كثيرا عن الزواج المُرتَّب. إنه لا يحدث تحت مظلة نظام العائلة على يد والدين استبداديين، بل تحت اسم الأمان الشخصي، ومن خلال اتفاقات مسبقة تتفادى العشوائية والصدفة، وفي النهاية تتفادى أي شِاعرية وجودية تحت مسمى غياب المخاطر. ثم يأتي التهديد الثاني الذي يواجهه الحب وهو إنكار أهميته تماما. إن ما يقابل التهديد الآمن هي الفكرة التي تقول إن الحب ليس إلا تنويعًا فقط لمذهب المتعة؛ تنويعًا لأشكال اللذَّة. إن الهدف هو تجنب كل اختبار مباشر؛ كل خبرة عميقة أو أصيلة للغيرية التي ينسج الحب منها خيوطه. من ناحية أخرى، يجب أن نضيف الآتي بما أن عنصر المخاطرة لا يمكن أن يُمحى كلّية من الحب؛ تقول دعاية ميتيك، مثل دعاية الجيوش الامبريالية، إن المخاطر سوف تلحق بالآخر!

Twitter: ketab_n

فلو أنك تدرَّبت تدريبًا جيدًا على الحب، متَّبِعًا قوانين الأمان المعاصرة، لن تجد صعوبة في نبذ الشخص الآخر في حال وجدته غير مناسب لك. فلو أنه يعاني! هذا شأنه. أليس كذلك؟ فهو لا ينتمي إلى الحداثة. إنه الأسلوب ذاته، «صفر قتلى»، الذي ينطبق على الجيوش الغربية، فقط. ذلك أن القنابل التي تسقط تقتل الكثير من الناس، لكن هؤلاء يقع عليهم اللّوم لأنهم يعيشون تحتها. لكن هؤلاء الجرحى هم أفغان وفلسطينيون... هم أيضا لا ينتمون إلى الحداثة. الحب الآمن، مثل أي شيء، يحكمه قانون الأمان؛ إنه يتضمن غياب المخاطر لمن يملكون بوليصة تأمين جيّدة وجيش جيّد وقوّة بوليس جدّية ورعاية نفسية جيّدة للاستمتاع بالملذّات الشخصية، أما المخاطر فتقع لهؤلاء الذين يقفون على الطرف الآخر. لا بد أنك لاحظت كيف يُقال لنا دوما إن الأشياء تُصنع «من أجل راحتك وأمانك»، من الحفر في الرصيف إلى الحرس البوليسي في ممرات المترو. يواجه الحب عدوَّين في الأساس: الأمان الذي تضمنه بوليصة تأمين، ومنطقة الراحة التي تحدِّدها المُتع المحدَّدة.

● **إذًا هناك نوع من التحالف بين الإيمان بحرية الإرادة وبين الأفكار الليبرالية عن الحب؟**

■ في الحقيقة أعتقد بأن الليبرالية والإرادة الحرّة يجتمعان حول فكرة أن الحب مخاطرة عديمة الجدوى. وهذا يعني أنك

Twitter: ketab_n

تستطيع من ناحية أن تحقق زواجًا جيد التخطيط ينشد كل المتع الاستهلاكية؛ وترتيبات جنسية مبهجة مليئة باللذة من ناحية ثانية، إذا أغفلت العِشق. وبالتالي من منطلق هذا المنظور، أعتقد حقًّا أن الحب في عالم اليوم أسير هذه الحلقة المفرغة، وعليه، فهو تحت التهديد. أعتقد بأن مهمة الفلسفة، كما هي مهمة الحقول المعرفية الأخرى، قبل أي شيء آخر، أن تدافع عنه. وهنا على الأرجح يأتي قول الشاعر رامبو إنه يحتاج كذلك إلى أن يُبتكَرَ من جديد. فلا يمكن أن يكون محض فعل دفاعيّ ببساطة للحفاظ على الوضع الراهن. إن العالم مليء بما هو جديد، ويجب أن يكتسب الحب هذا التجديد. يجب أن نبتكر من جديد المخاطرة والمغامرة في مواجهة الأمان والراحة.

Twitter: ketab_n

Twitter: ketab_n

الفصل الثاني

الفلاسفة والحب

Twitter: ketab_n

Twitter: ketab_n

● **تستعير من رامبو «يجب أن نبتكر الحب من جديد»، وخلال بناء مفهومك الفريد عن الحب اعتمدت على عدد من الشعراء والكتّاب. لكن ربما يجب أن نسأل أولا عن الفلاسفة الآخرين. لقد أبهرتك حقيقة أن قليلًا جدًا منهم أظهروا اهتماماً بالحب. والفلاسفة الذين أظهروا اهتماماً به تختلف معهم غالبًا. فما أسبابك؟**

■ إن مسألة علاقة الفلاسفة بالحب مسألة معقّدة في الحقيقة. هذا ما يبينه بوضوح شديد كتاب «الفلاسفة والحب من سقراط إلى سيمون دو بوفوار» لمؤلّفيه **أودي لانسلين وماري ليمونييه**. تكمن أهمية الكتاب في ربطه بين البحث في المذاهب الفلسفية التي اعتنقها هؤلاء الفلاسفة وبين البحث في حيواتهم من دون غموض أو ابتذال. بهذا المعنى هو كتاب غير مسبوق تقريبًا.

يبيّن الكتاب كيف تأرجحت الفلسفة بين النقيضين حين يتصل الأمر بالحب، بالرغم من أننا نجد وجهات نظر وسطية. من ناحية، توجد فلسفة معادية للحب. والممثل الأول لهذا الاتجاه هو **آرثر شوبنهاور**، فهو مشهور بأنه لن يسامح أبدا النساء لأنهن

Twitter: ketab_n

عشن شغف الحب، وهذا سمح بالتالي بتخليد النوع البشري الذي لا يساوي شيئًا في الحقيقة! هذا هو أحد النقيضين. أما من الناحية الأخرى، فتجد فلاسفة يضعون الحب في مستوى من المستويات العليا في الخبرة الشخصية. هذه حالة **كيركجارد** على سبيل المثال، فبالنسبة له هناك ثلاثة مستويات للوجود. على المستوى الجمالي، خبرة الحب هي واحدة من خبرات الإغواء العبثي والمتكرّر. إن أنانية اللذة وأنانية اللذة تقودان الأفراد، والنموذج الأصلي لهذا هو دون خوان **موزارت**. على المستوى الأخلاقي الحب أصيل ويبرهن على جديته. إنه التزام أبدي يتجه إلى المطلق؛ شيء عاشه **كيركجارد** نفسه في علاقته الطويلة مع ريجين الشابة. يمكن أن ينتقل المستوى الأخلاقي إلى المستوى الأعلى: المستوى الديني، إذا تكللت القيمة المطلقة للالتزام بالزواج. وبناء عليه، يصبح الزواج مؤسسة ترشد الحب الحقيقي إلى محطته الأساسية وليس مجرّد تقوية للرابط الاجتماعي في مواجهة خطر الحب العاصي. يصبح التجلّي الأخير للحب ممكنا حين «تغرق **الأنا** من خلال شفافيتها في القوة التي خلقتها»؛ أي، حين، بفضل خبرة الحب، تُجذّر **الأنا** نفسها في منبعها المقدَّس. من ثم، يتجاوز الحب الإغواء. ومن خلال الوسيط الجاد، الزواج، يصبح طريقًا للارتقاء إلى السوبرمان.

كما ترى، تناضل الفلسفة بتوتر كبير. من ناحية، هناك ضرب

Twitter: ketab_n

ما من الشك العقلاني يرى في الحب غلوًّا طبيعيًا في الجنس. ومن ناحية أخرى، نرى ثناء على الحب يقترب في أغلبه من الزَّخَم الديني. تحلق المسيحية في الخلفية، دين الحب في النهاية. ولاحظ أن لا أحد يحتمل هذا التوتر. لهذا، حين يعجز كيركجارد في النهاية عن احتمال فكرة الزواج من ريجين، يقطع العلاقة معها. في النهاية، هو يجسِّد الغاوي الجمالي للمستوى الأول والوعد الجمالي للمستوى الثاني، وفشل في الانتقال خلال الأصالة الوجودية للزواج إلى المستوى الثالث. وفي كل الأحوال، لقد مرَّ عبر كل أشكال التفكير الفلسفي في الحب.

● **ألا يصبُّ اهتمامك الشديد بهذا السؤال في الحركة الأولية التي قام بها أفلاطون الذي جعل الحب أحد سبل الاقتراب من الفكرة؟**

■ إن ما قاله أفلاطون عن الحب دقيق جدًّا؛ لقد قال إن بذرة الكلّية مغروسة في زَخَم الحب. إن خبرة الحب هي الزخم الذي يتحرك تجاه ما يسمّيه الفكرة. لهذا، حتى عندما أعجب فقط بجسم جميل سواء كنت أحب صاحب هذا الجسد أم لا، فأنا في حركة تجاه فكرة الجمال. أعتقد - بكلمات مختلفة تمامًا، بديهيًا- بأن شيئًا ما مماثلًا يحدث؛ أي، يشمل الحب خبرة عبور فردية الصدفة إلى عنصر يحمل قيمة الكلّية. فإذ يبدأ من شيء ما، هو ببساطة لقاء، أمرٌ تافه، تتعلم أنك تستطيع أن تختبر العالم

Twitter: ketab_n

على أساس الاختلاف وليس وفقا للهوية فقط. وكما يمكننا حتى أن نقبل الاختبارات، يمكننا تقبّل المعاناة من أجل هذا. في عالم اليوم، يسود الاعتقاد بأن كل شخص لا يطارد إلا مصلحته الذاتية فقط. إذن، الحب ترياق لهذا. إن الحب ثقة حقيقية في الصدفة. بشرط ألا ندركه على أنه تبادل لمآثر مشتركة، أو على أنه طريقة محسوبة مقدَّمًا، أو على أنه استثمار مُرْبِح. إن الحب يأخذنا إلى مناطق رئيسة من خبرة ما الاختلاف، ويقودنا أساسًا إلى فكرة أننا نستطيع أن نجرِّب العالم من منظور الاختلاف. في هذا السياق، هو يتمتع بآثار كلّية، وهو خبرة فردية لكلّية محتملة، وهو عنصر أساسي فلسفيا على مستوى الحدس الأولي الذي أدركه أفلاطون فيه.

● **اشتبك جاك لاكان، واحد من أعظم منظِّري الحب، طبقًا لك، في حوار مع أفلاطون وانتهى إلى أنه: «لا يوجد علاقة جنسية». ماذا يعني ؟**

■ هذه فرضية في غاية الأهمية، تنبع من منظور مذهَبَي الشكّ والأخلاق، لكنها الفرضية التي تقود إلى استنتاج عكسي. يذكّرنا **جاك لاكان** بأن كل شخص بينما يمارس الجنس يكون في نفسه إلى درجة كبيرة، لو يصح أن أصفه كذلك. بالطبع، يصبح جسد كل منهما وسيطاً للآخر، لكن في النهاية اللذّة دائما لذّتك. إن الجنس لا يوحِّد بل يفصل. حقيقة أنك عارٍ وتضغط على الآخر

Twitter: ketab_n

هي صورة وتمثيل تخيّلي. الحقيقي هو أن اللذة تأخذك بعيدًا، بعيدًا جداً عن الآخر. الحقيقي نرجسي، والذي يربط بينهما تخيّلي. لذلك لا يوجد شيء اسمه اتصال جنسي كما يستنتج لاكان. صيغة تسببت في فضيحة، بما أن الجميع في ذلك الوقت، كانوا لا يتحدثون إلا عن «العلاقات الجنسية». لو أنه لا توجد علاقة جنسية في الجنسانية؛ فالحب هو ما يملأ فراغ العلاقة الجنسية.

لا يقول لاكان، على الإطلاق، إن الحب ستار للعلاقات الجنسية، بل يقول لا يوجد اتصال جنسي، وأن الحب هو ما يأتي ليحل محل اللااتصال. هذا أكثر إثارة للاهتمام. تقوده هذه الفكرة إلى أن يقول إن الشخص في الحب يحاول الوصول إلى «كينونة الآخر». ففي الحب يذهب الشخص إلى ما وراء نفسه، إلى ماوراء النرجسية. في الجنس، أنت حقًّا في علاقة مع نفسك من خلال توسّط الآخر. يساعدك الآخر على اكتشاف حقيقة اللذة. في الحب، على العكس، توسّط الآخر قيمة في حد ذاته. هذا هو لقاء الحب: تهجم على الآخر لكي يوجد معك كما هو. إنه مفهوم أكثر عمقاً بكثير للحب من النظرة المبتذلة التي ترى أن الحب ليس أكثر من لوحة خيالية مرسومة فوق حقيقة الجنس.

في الحقيقة، استقر لاكان كذلك في غموض فيلسوفي بشأن بالحب. يمكن فعليا تأويل فكرة أن «الحب هو ما يملأ فراغ العلاقة الجنسية» بطريقتين.

Twitter: ketab_n

الأولى، والأكثر وضوحًا، هي أن الحب يملأ، خياليًا، فراغ الغريزة الجنسية. في النهاية يصحّ تماما أن الممارسة الجنسية، بالرغم من روعتها، تنتهي إلى نوع من الفراغ. ولهذا تخضع إلى قانون التكرارية؛ فيجب أن يبدأها المرء مرة بعد مرة. كل يوم حين يكون المرء شابًا! إذًا يصبح الحب هو الفكرة التي تقول بأنه شيء ما يكمن في هذا الفراغ، بأنه شيء ما آخر يربط المحبّين غير هذه العلاقة التي لا وجود لها. حين كنت شابا، صعقني، بل تقريبًا شعرت بالاشمئزاز من فقرة في كتاب سيمون دو بوفوار الجنس الثاني، حيث تصف فيها ما يشعر به الرجل بعد الانتهاء من ممارسة الجنس بأن جسد المرأة سطحي ومُسطّح وتشعر المرأة بالمثل أن جسد الرجل، بعيدا عن عضوه المنتصب، غير جذاب في العموم إن لم يكن سخيفا إلى حد ما. يضحكنا المسرح الهزلي وعروضه المضحكة باستخدامه الدائم لهذه الأفكار الحزينة. إن رغبة الرجل هي رغبة ذكر كوميدي وأكرش وعاجز، والحيزبون الشمطاء التي يتدلّى ثدياها هي المستقبل الذي ينتظر الجمال. يصبح الحنان المحب، حين ينام الحبيب بين ذراعي المحبوب، عباءة نوح المطروحة فوق هذه الاعتبارات المزعجة. غير أن لاكان يعتقد العكس كذلك؛ أي أن الحب له تأثير يمكن أن نقول عنه أنطولوجي. فبينما تركز الرغبة على الآخر، بأسلوب فيتشي دائما، وعلى أشياء خاصة، مثل الثديين والعجيزة والقضيب.... يركز الحب على وجود الآخر في حد ذاته، على الآخر الذي يتدفّق، متسلِّحًا تسلُّحًا كاملاً بوجوده، إلى حياتي ممزِّقًا ومشكِّلًا إياها من جديد.

Twitter: ketab_n

● إن ما تقوله حقًّا هو أنه توجد مفاهيم فلسفية متناقضة جدًّا عن الحب؟

■ إنني أميز بين ثلاثة مفاهيم رئيسة. أولا: المفهوم الرومانسي الذي يركِّز على نشوة اللقاء. ثم: ما أشرنا إليه باختصار حين كنا نناقش الموقع الالكتروني ميتيك للمواعيد الغرامية؛ حيث يركن هذا المفهوم إلى المنظور التجاري أو القانوني الذي يرى الحب في النهاية عقدا؛ أي عقد بين فردين حُرّين سوف يعلنان بحسب الافتراض أنهما يحبان بعضهما بعضًا، لكن لن ينسيا أبدا ضرورة تحقّق الندّيّة في العلاقة، ونظام المنافع المتبادلة، إلخ... وأخيرا، لدينا المفهوم الشكّي الذي يحوِّل الحب إلى وهم. وجهة نظري الفلسفية، هي ما أحاول أن أطرحه، أنه لايمكن اختصار الحب إلى أي من تلك المقاربات، فالحب هو بناء الحرية. سوف تسألني: أي نوع من الحرية؟ حسنا، أنا أعني الحرية في نقطة محددة تماما: ما نوع العالم الذي يراه المرء حين يختبره من وجهة نظر اثنين وليس واحد؟ كيف يصبح العالم حين يختبره المرء ويمارسه ويعيشه من وجهة نظر الاختلاف وليس الهوية؟ هذا هو الحب في اعتقادي. إنه المشروع، الذي يشمل بديهيا الرغبة الجنسية وكل محنه، ويشمل ميلاد الطفل، بل وآلاف الأشياء الأخرى. في الحقيقة كل شيء بدءًا من اللحظة التي يتحدّى فيها منظور الاختلاف حيواتنا.

Twitter: ketab_n

● طبقا لاعتقادك بأن الحب هو أسلوب اختبار العالم على أساس الاختلاف، فلم لا تشارك وجهة نظر الفيلسوف إيمانويل ليفيناس، التي تقوم أساسا على أن الشخص المغرم يختبر في الشخص الذي يحبه ليس «صفة تختلف عن أي شخص آخر، بل صفة الاختلاف ذاتها»؟ لم لا ترى أن الحب هو خبرة الآخر؟

■ أعتقد بأنها مسألة أساسية أن نفهم أن بناء العالم على أساس الاختلاف يتباين تماما عن خبرة الاختلاف. تبدأ رؤية ليفيناس من الخبرة التي لا يمكن اختزالها إلى وجه الآخر؛ الظهور الذي يتجذر في الله الدائم على أنه «الآخر القدير». إن تجربة الغيرية مركزية لأنها الحجر الأساسي للأخلاق. والنتيجة هي أن يغدو الحب عاطفة أخلاقية بامتياز في التقليد الديني العظيم. في رأيي، لا يوجد أبداً شيء من هذا القبيل في الحب لا سيّما «الأخلاقي». أنا لا أحب حقًّا كل هذا الاجترار اللاهوتي الذي يلهمه الحب، بالرغم من أنني أعرف أنه أثَّر تأثيرًا عظيمًا على مرّ التاريخ. أستطيع أن أرى فقط الانتقام النهائي للواحد من الاثنين. في الحقيقة، بالنسبة لي، هناك لقاء مع الآخر، لكنه لقاءً، تحديدا، وليس خبرة، إنه حدث يظل معتمًا تمامًا، ولا يحقق حقيقته إلا في سيروراته المتعددة الجوانب داخل العالم الحقيقي. كذلك لا أستطيع أن أرى الحب، أساسًا، خبرة «وصال»، أنسى فيها نفسي لصالح الآخر؛ هذا نموذج في هذا العالم سوف يقودني في النهاية إلى الآخر القدير. في نهاية فاوست، يؤكد غوته أن

Twitter: ketab_n

«الأنوثة السَّرمَدية تأخذنا إلى **الأعلى**». تلك التعبيرات أجدها، اعذرني، بذيئة إلى حد ما. الحب لا يأخذني إلى «الأعلى» ولا إلى «الأسفل». إنه مشروع وجودي: بناء العالم من وجهة نظر تبتعد عن مركزية دافعي البسيط للبقاء على قيد الحياة ومصلحتي المباشرة.

هنا أضع «بناء» مقابل «خبرة». حين أميل إلى كتف المرأة التي أحب، أرى، فلنقل، سلام الشفق فوق جبل ما، والحقول الخضراء- الذهبية، وظلال الأشجار والخراف الصامتة ذات الخشم الأسود، الساكنة وراء أهداب الشمس التي على وشك أن تختفي خلف قمم مسنّنة. وأعرف- ليس من تعبير وجهها، بل من العالم كما هو- أن المرأة التي أحب ترى العالم ذاته، وأن هذا التطابق جزء من العالم، وأن الحب، في هذه اللحظة، هو، تحديدًا، مفارقة الاختلاف المتطابق، فالحب إذًا يوجد ويعد بأن يظل موجودا. الحقيقة هي أننا (هي وأنا) مندمجان في هذا **الموضوع** الفريد الآن؛ موضوع الحب الذي يتعامل مع تكشّف العالم من خلال منشور اختلافنا، بحيث يتحقق هذا العالم الذي يولد، عوضًا عن أن يكون مجرَّد شيء يملأ نظرتي الفردية. الحب دائمًا هو إمكانية المساعدة على ولادة العالم. إن ميلاد الطفل، لو ولد من الحب، مثال آخر من بين أمثلة أخرى، على هذه الإمكانية.

Twitter: ketab_n

Twitter: ketab_n

الفصل الثالث

بناء الحب

Twitter: ketab_n

Twitter: ketab_n

● فلنذهب الآن إلى مفهومك الخاص عن الحب. ذكرنا أن رامبو أراد أن نبتكر الحب من جديد. لكن من أي فكرة عن الحب نبدأ ذلك؟

■ أعتقد بأننا يجب أن نقترب من سؤال الحب من نقطتين تتوافقان مع خبرة الجميع. الأولى: يتّسم الحب بالانفصال أو الانفصام، لعله الاختلاف البسيط بين الفَرْدَين وتركيباتهما الشخصية اللانهائية. هذا الانفصام، في معظم الحالات، هو الاختلاف النوعي. ومع ذلك، عندما لا تكون هذه هي الحالة، يشترط الحب أن مَنْ يتقابلان شخصان مختلفان؛ لحظتان تأويليتان مختلفتان. بكلمات أخرى، يحتوي الحب على عنصر مبدئي هو الانفصال أو الانفصام، أو الاختلاف. لديك اثنان. فالحب، في البداية، اثنان.

النقطة الثانية: بما أنه ينطوي على انفصال تحديدا، ففي اللحظة التي يظهر فيها الاثنان على المسرح هكذا، ويختبران العالم بطريقة جديدة، لن يتخذ إلا شكلًا خطرًا أو اتفاقيًا. هذا ما نسمّيه «اللقاء». يبدأ الحب بلقاء. وسوف أعطي هذا اللقاء حالة

Twitter: ketab_n

شبه ميتافيزيقية للحدث؛ أي، شيء ما لا يندرج ضمن القانون الحالي للأشياء. لدينا أمثلة لا نهائية في الفن أو الأدب تصف نقطة البداية هذه للحب. ويركّز العديد من القصص والروايات على حالات يكون فيها الاثنان مميزان عن بعضهما البعض على الخصوص؛ حين لا ينتمي الحبيبان إلى الطبقة ذاتها أو الجماعة أو العشيرة أو البلد. روميو وجوليت هي القصة الرمزية الدالّة على هذا الانفصام الخاص لأن هذين الاثنين ينتميان إلى معسكرين مُعاديين. إن خط الدائرة القُطري هذا للحب الذي يمر من خلال الازدواجات الأكثر قوة والانفصالات الأكثر راديكالية عنصر مهم تمامًا. إن اللقاء بين الاختلافين هو حدث وهو اتفاقي ومربك، «مفاجآت الحب»، ومرة أخرى، المسرح. على أساس هذا الحدث، يمكن أن يبدأ الحب ويزدهر. إنها النقطة الأولى الأساسية على الإطلاق. تدشّن هذه المفاجأة عملية هي في الأساس خبرة العالم. إن الحب ليس ببساطة عن لقاء شخصين وعلاقتهما الداخلية: إنه بناء؛ حياة تُصنع، لم تعد من منظور واحد منذ تلك اللحظة، بل من منظور اثنين. وهذا ما سمَّيته «مشهد من اثنين». شخصيًا، كنت مهتمًا دائمًا بقضيَّتَي الاستمرارية والسيرورة، وليس قضايا البداية فقط.

● وفقا لك، لا يمكن حصر الحب في اللقاء لكنه يأخذ شكلا مع الاستمرارية. لماذا ترفض مفهوم الذوبان في الحب؟

Twitter: ketab_n

■ أعتقد أن هناك مفهومًا رومانسيًا عن الحب حاضر جدًّا؛ هذا المفهوم، على نحو ما، يستهلك الحب في اللقاء. أعني أن الحب يلهب ويُستهلَك ويَستهلِك على السواء في اللقاء؛ في لحظة سحرية خارج العالم كما هي فعليا. يحدث شيء ما حينئذ، ذو طبيعة إعجازية، كثافة وجودية، لقاء اندماجي. لكن حين تحدث الأشياء بهذه الطريقة لا نشهد «مشهد من اثنين»، بل «مشهد من واحد». يتقابل الحبيبان ويقع حدث ما شبيه ببطولة الواحد في مواجهة العالم- هذا هو مفهوم الذوبان في الحب. نلاحظ أنه، في أغلب الأساطير الرومانسية، تؤدي نقطة الذوبان هذه في الأغلب إلى الموت. هناك رابط حميمي وعميق بين الحب والموت، تصل ذروتها في مسرحية ريتشارد فاغنر تريستان وإيزولد، لأن الحب يُستهلك في لحظة اللقاء الاستثنائية والممتنعة عن الوصف، حيث من المستحيل بعدها العودة إلى عالم يظل خارجيا بالنسبة للعلاقة.

هذا مفهوم رومانسي راديكالي، أعتقد بأننا نحتاج إلى رفضه. فنيًّا هو مفهوم جميل جدًّا، لكنه في رأيي عيب وجودي خطير. أعتقد أننا يجب أن نقبله أسطورة فنية قوية، لكن ليس كفلسفة أصيلة عن الحب. ذلك أن الحب في النهاية مكان في العالم. إنه حدث لا يمكن التنبؤ به أو حسابه في ضوء قوانين العالم. لا شيء يخوِّل المرء أن يجهز مسبقًا للقاء- ولا حتى ميتيك ولا تلك المحادثات الالكترونية الطويلة والدائمة على شبكة

Twitter: ketab_n

الانترنت!- ففي النهاية، لحظة تريان بعضكما لحماً ودماً هي لحظة تريان بعضكما، وهذا غير قابل للاختزال! من ناحية أخرى، لا يمكن اختصار الحب في اللقاء الأول لأن الحُبَّ عملية بناء. إن اللغز في التفكير حول الحب هو قضية المدة الزمنية الضرورية التي يحتاجها ليزدهر. في الحقيقة، إن النقطة الأهم، أساسا، ليست قضية نشوة البدايات. بالطبع توجد نشوة في البداية، لكن الحب فوق كل شيء بناء يبقى. نستطيع أن نقول إن الحب مغامرة متماسكة. الجانب المغامر منه ضروري، لكن لا يقلّ عنه ضرورة الحاجة إلى التماسك. إن التخلّي عنه مع أول حاجز، مع أول اختلاف جاد، مع أول شجار، يعني تشويه الحب. الحب الحقيقي هو الحب الذي ينتصر باستمرار، أحيانًا بألم، فوق العوائق التي تقف حاجزًا عبر الزمن والمكان والعالم.

● ما طبيعة هذا البناء؟

■ القصص صامتة تماما عن هذا، أليس كذلك؟ تقول نهاية القصة: «تزوجا وأنجبا الكثير من الأطفال». نعم، بالتأكيد، لكن، حسنا، هل الحب ببساطة هو الزواج، وإنجاب الكثير من الأطفال؟ إن هذا التفسير سطحي ونمطي. إن الفكرة التي تقول بأن الحب يتحقق أو يتجسَّد حصريا في خلق عالم العائلة غير مقنعة على الإطلاق. لا أقول إن عالم العائلة ليس جزءًا من الحب- أنا أعتقد بأنه كذلك- بل أقول إنه لا يمكن اختصار

Twitter: ketab_n

الحب إلى هذا. يجب أن نفهم كيف أن ميلاد طفل هو جزء من الحب، لكن هذا لا يعني أن ميلاد طفل هو تحقّق الحب. ما يشغلني هو قضية الاستمرارية في الحب. وبدقّة: يجب ألا يفهم أي شخص من كلمة «استمرارية» أن الحب يدوم، أو أنهما سوف يتحابّان دائما أو إلى الأبد. لا بد أن نفهم أن الحب يبتكر طريقة جديدة للاستمرار في الحياة. يواجه وجود كل شخص، حين يتعرّض لخبرة الحب، مفهوماً جديدًا للزمن. وطبعًا لو أننا ردَّدنا صوت الشاعر، فالحب هو أيضا «الرغبة الدائمة في الدوام». لكن فوق هذا، هو رغبة في دوام مجهول. ذلك أن الحب- كما نعرف جميعا- هو إعادة ابتكار الحياة. إن ابتكار الحب من جديد يعني إعادة ابتكار ذلك الابتكار الجديد للحياة.

● في كتابك، «حالات» ، تطعن في عدد من الأفكار الراسخة عن الحب، وبالذات فكرة أن الشعور بالوقوع في الحب وهم؛ وهو مفهوم عزيز في التقليد التشاؤمي لدى الأخلاقيين الفرنسيين؛ طبقا له يرى أن الحب ليس إلا «الوجه المزيّن الذي تمر من خلاله الحقيقة الجنسية» ،أو الذي يعتبر أن «الحب هو رغبة في الأساس وغيرة جنسية». لماذا تنتقد هذا المفهوم؟

■ ينتمي هذا المفهوم الأخلاقي إلى المذهب الشَكّي. تزعم هذه الفلسفة أن الحب لا يوجد حقاً وهو محض بهرجة لامعة للرغبة. الرغبة هي الشيء الوحيد الذي يوجد حقًّا. طبقًا لهذه

Twitter: ketab_n

الرؤية، الحب شيء ما يبنيه الخيال لكي يغطي الرغبة الجنسية بقشرة خارجية. هذه الفكرة ذات التاريخ الطويل، تشجِّع الجميع على أن يرتاب في الحب. إنها تنتمي كذلك إلى لغة الأمان، لأنها تقول أساسا: «اسمع، لو لديك رغبة جنسية، اشبعها. إنك لا تحتاج إلى أن تقع أسير فكرة أنك يجب أن تحب شخصًا ما. انسى كل هذا واشبع رغبتك فقط!». من ناحية أخرى، في تلك الحالة، أقول إن الحب قد تقوَّض، أو تفكَّك، باسم الحقيقة الجنسية.

في هذا السياق، أود أن أشير إلى خبرتي. أعتقد أنني أعرف، مثل الجميع كذلك، دافع الرغبة الجنسية وإلحاحها. وتقدم العمر لم يجعلني أنسى هذا. أعرف كذلك أن الحب يحفر أثناء تطوره تحقق هذه الرغبة. وهذه نقطة مهمة، لأنه كما يقول الأدب منذ زمن سحيق، يلعب انجاز هذه الرغبة الجنسية دليلًا ماديًا نادرًا؛ وهو واحد من هذه الأدلة النادرة التي ترتبط ارتباطًا كلّيًا بالجسد، على أن الحب أكثر من مجرد إعلان بالكلمات. إن الإعلان من نوع «أحبك» يمهر حدث اللقاء، إنه أساسي ومُلزم. لكن تسليم جسدك، وخلع ملابسك لكي تصبح عاريا للآخر، وتدرّبك على أداء الحركات الجنسية القديمة، ونفضك لأي إحراج لديك، وصراخك؛ كل هذا التورّط الجسدي دليل على الاستسلام للحب. إنه يميّزه تمييزًا حاسمًا عن الصداقة. لا تشمل الصداقة التواصل الجسدي أو أي أصداء للذة الجسد.

Twitter: ketab_n

لهذا هي عاطفة فكرية أكثر، وقد فضّلها دائمًا الفلاسفة الذين يرتابون في الحب. إن الحب، خاصة مع استمراريته، يضم كل الأوجه الإيجابية للصداقة. لكن الحب يرتبط بكلّية وجود الآخر، ويصبح استسلام الجسد هو الرمز المادي على تلك الكلّية.

قد يقال: «هذا ليس صحيحا! إنها الرغبة، والرغبة فقط، التي تعمل حينئذ». سوف أؤكد أنه ضمن إطار الحب الذي يعلن نفسه، فإنّ هذا الاعلان حتى لو يظل خفيًا، هو الذي ينتج آثار الرغبة وليس الرغبة مباشرة. يرغب الحب في أن يغلّف الرغبة، وبالتالي تصبح طقوس الجسد التعبير المادي للكلمة؛ فهي ما يمرّ عبرها فكرة تحقّق الوعد بابتكار الحياة من جديد، وأساسًا على مستوى الجسد. لكن يعرف المُحِبّون، حتى في أثناء هلاوسهم الأكثر جموحًا، أن الحب هناك موجود، إنه مثل الملاك الحارس لأجسادهم، عند استيقاظهم، صباحًا، حيث يهبط السلام فوق الدليل بأن أجسادهم سمعت إعلان الحب. لهذا أؤمن بأن الحب لا يمكن أن يكون، ولا أن يصبح، بالنسبة لأي شخص، إذا نحّينا المنظِّرين الذين يهفون إلى محوه، مجرد رداء للرغبة الجنسية، أو خدعة معقدة أسطورية لضمان بقاء النوع.

Twitter: ketab_n

Twitter: ketab_n

الفصل الرابع

حقيقة الحب

Twitter: ketab_n

Twitter: ketab_n

● ذكَّرتنا سابقاً أن أفلاطون رأى فعليًا الرابط الخاص بين الحب وبين الحقيقة. لكن كيف تعتقد أن الحب «إجراء الحقيقة»؟

■ أعتقد بأن الحب هو فعليا ما أسميه في قاموسي الفلسفي «إجراء الحقيقة»، بمعنى، الخبرة التي من خلالها يشيَّد نوعٌ معين من الحقيقة. هذه الحقيقة هي ببساطة شديدة حقيقة الاثنين. حقيقة الاختلاف كما هي. وأعتقد بأن الحب -الذي أسميه «مشهدًا من اثنين»- هو هذه الخبرة. بهذا المعنى، الحب الذي يقبل التحدي ويقبل الاستمرارية، ويقبل خبرة العالم هذه تماما، فإنه من وجهة نظر الاختلاف يُنتج، على هذا النحو، حقيقة جديدة حول الاختلاف. لهذا فإن الحب الحقيقي محط اهتمام الانسانية كلها دائما، بغض النظر عن تواضعه الظاهري، وعن تواريه. نعرف كيف ينجرف الناس بقصص الحب! لا بد أن يسأل الفيلسوف لماذا يحدث هذا؟ لماذا هناك العديد من الأفلام والروايات والأغاني التي تكرِّس تكريسًا كاملًا قصصها للحب؟ لا بد أن هناك شيئًا ما كُلّيًا في الحب لكي تثير قصصه

Twitter: ketab_n

اهتمام هذا الجمهور الغفير. إن الكُلّي هو أن الحب يقدم خبرة جديدة للحقيقة حول كيف تكون اثنين وليس واحدًا. فأيًّا كان الحب فهو يعطينا دليلًا جديدًا على أننا نستطيع أن نقابل العالم ونختبره بوعي آخر غير الوعي المنعزل. ولهذا نحب الحب؛ كما يقول سان أوغسطين نُحبّ أن نُحِبّ، لكننا نحب أيضًا أن يُحِبّنا الآخر. وذلك لأننا نحب الحقائق ببساطة. هذا ما يعطي الفلسفة معناها: الناس يحبون الحقيقة حتى عندما لا يدركون هذا.

● **يبدو أن هذه الحقيقة تحتاج إلى أن تقال، وأنت تحدثت عن الحب «المعلن». طبقًا لك، انطلاقاً من الضرورة، توجد مرحلة إعلان الحب في الحب. لماذا ترى أن من الضروري حقيقة البوح بالحب؟**

■ لأن الإعلان منقوش في بنية الحَدَث ذاته. أولًا، لدينا اللقاء، أشرت كيف يبدأ الحب بلقاء يتّصف بالخطر والاتفاقية. هذه ألعاب الحب والصدفة حقًّا. ولا يمكن تجنّبها. توجد دائما بغَضّ النظر عن المبالغة الدعائية للإعلان الذي ذكرته. غير أنه في لحظة معينة لا بد أن ترسخ الصدفة. فالاستمرارية يجب أن تبدأ. هذه مشكلة صعبة جدا، هي ميتافيزيقية تقريبا: كيف يصبح ما هو محض صدفة نقطة ارتكاز بناء الحقيقة؟ كيف يصبح شيء ما، هو في الأساس غير متوَقَّع، ويبدو أنه ينتمي إلى نزوات غير متوقَّعة للوجود- كيف يصبح المعنى الكلّي لحياتين تقابلتا،

Twitter: ketab_n

واقترنتا، وسوف تنخرطان في تجربة ممتدة لإعادة ولادة العالم الدائم من خلال وسيط الاختلاف من وجهتي نظريهما؟ كيف يتحركان من لقاء محض إلى مفارقة عالم واحد يكشف عن أننا اثنان؟ إنه لغز كامل في الحقيقة. وهذا، من جهة أخرى، ما يغذّي حقّا مذهب الشك حول الحب. سوف يقول الناس: لماذا نتحدث عن الحقيقة العظيمة في حدث عادي بأن فلانًا قابل زميله أو زميلته في العمل؟ هذا بالضبط ما يجب أن نشدد عليه: حدث تافه ظاهريًا، لكنه في الحقيقة الحدث الذي يعتبر راديكالياً حقًّا في الحياة على المستوى الميكروسكوبي، يحمل في عناده واستمراريته معنًى كلّياً. ومع ذلك، صحيح أنه «يجب في لحظة معينة أن ترسخ الصدفة». هذا تعبير مالارميه: «الصدفة في النهاية رسخت...»، يقولها عن الشعر، وليس عن الحب. لكن كلماته يمكن أن تطبَّق تطبيقًا مفيدًا تمامًا على الحب وإعلان الحب، مع الصعوبات الرهيبة وتنوّعات الكَرَب التي ترتبط به. علاوة على ذلك، جميعنا يعرف الانسجام بين القصائد الشعرية وإعلانات الحب. في كل من الحالتين، توجد مخاطر ضخمة تقع على عاتق اللغة. تتعلّق هذه المخاطر بنطق كلمة يمكن أن يكون تأثيرها، في الوجود، لا نهائيًا تقريبًا. إنها رغبة قصيدة الشعر كذلك. فأن تعلن عن الحب يعني أن تتحرك من حدث اللقاء لتباشر العمل في بناء الحقيقة. إنها ترسّخ اتفاقية اللقاء في شكل البداية. وغالبا ما يبدأ حينذاك، يدوم طويلا؛ يكون مشحونا بالجدة وخبرة العالم، بحيث، عند مراجعة الماضي، لايبدو إطلاقًا اتفاقيًا وخطرًا كما

Twitter: ketab_n

بدا في بدايته، بل سوف يبدو، عمليا، ضرورة. هكذا ترسّخ الصدفة: تتخذ الاتفاقية المطلقة في لقاء شخص ما لا أعرفه مظهر القَدَر في النهاية. إن إعلان الحب هو الانتقال من الصدفة إلى القدر، ولهذا هو محفوف بالخطر ومشحون بنوع من رهبة خشبة المسرح المرعب. علاوة على ذلك، لا يحدث إعلان الحب بالضرورة مرة واحدة، بل قد يمتد وينتشر ويرتبك ويصبح معقدًا ويُعلن مرة ومرة أخرى، ويكون قدره أن يُعلن، مع ذلك، مرة أخرى. هذه هي اللحظة التي ترسخ فيها الصدفة. فحين تقول لنفسك: لا بد أن أعلن للشخص الآخر عَمَّ حدث، عن هذا اللقاء والأحداث التي وقعت خلال اللقاء. وأنني سوف أخبر الآخر أن التزام ما حدث بداخلي على الأقل من جهتي. في كلمة واحدة: أحبك. لو «أحبك» ليست خدعة لممارسة الجنس مع شخص ما، والتي يمكن أن تكون الحالة. لو أنها ليست خدعة، فما هي؟ ما الذي يقال حينئذ، معها؟ ليس من السهل على الإطلاق أن تقول «أحبك». اعتدنا على أن نعتبر هذه الكلمة الصغيرة مبتذلة وتافهة. علاوة على ذلك، نفضِّل في بعض الأحيان لكي نقول «أحبك» استخدام كلمات أخرى أكثر شعرية وأقل شيوعًا. لكن ما نقوله دائمًا: سوف أستخلص شيئا ما آخر مما كان محض صدفة. سوف أستخلص استمرارية وعناد، وارتباط، وولاء. وهنا أستخدم كلمة «ولاء» ضمن قاموسي الفلسفي الخاص، مجرَّدة من معناها المعتاد. إنها تعني بدقة ذلك الانتقال من اللقاء الاتفاقي إلى بناء، بقدر ما هو صلب، هو ضروري على السواء.

Twitter: ketab_n

● في هذا السياق، أحب أن أقتبس من العمل الجميل جدًّا لأندريه كورز رسالة إلى د.، إعلان الحب الذي قام به الفيلسوف إلى زوجته وسرد الحب الذي، لو يمكن أن أقول هذا، دام دائما. إن سطوره الافتتاحية هي: «قريبًا سوف تبلغين الثانية والثمانين. لقد قصرتِ ستة سنتمترات، وتزنين خمسة وأربعين كيلو غراماً، ومع ذلك أنتِ جميلة جدًا وفاتنة ومرغوبة كما كنتِ دائمًا. لقد عشنا الآن معا ثمانية وخمسين عاما، وأحبك أكثر من قبل. في تجويف صدري أستطيع أن أشعر مرة أخرى بالخواء الفاسد الذي يملأه فقط دفء جسدك على جسدي». ما المعنى الذي تعطيه هذه الرسالة للولاء؟

■ أليس معنى الولاء أكثر اتساعا من الوعد البسيط بألا أمارس الجنس مع شخص آخر؟ ألا يبدو، في الحقيقة، أن «أحبك» الأولية التزام لا يتطلّب تكريسًا خاصًا- الالتزام ببناء شيء ما سوف يستمر من أجل تحرير اللقاء من اتفاقيته؟ رأى مالارميه القصيدة باعتبارها «صدفة ترسّخت كلمة بعد كلمة». في الحب، يدل الإخلاص على هذا الانتصار الممتَدّ: تنهزم اتفاقية اللقاء يوما بعد يوم بابتكار الاستمرارية، بولادة العالم. لماذا غالبًا ما يقول الناس: سوف أحبك دائمًا؟ بشرط طبعًا أنها ليست خدعة. سَخِرَ الأخلاقيون كثيرا من هذا، إذ أكدوا على أنه ليس حقيقة في الواقع. أولا، ليس حقيقيًا أبدًا أنه ليس حقيقة. هناك أشخاص يحّب أحدهم الآخر دائما، وهناك منهم أكثر مما

Twitter: ketab_n

يمكن أن نتصور أو نقول. ويعرف كل واحد منا أن القرار بإنهاء الحب، خاصة من طرف واحد، هو أمر كارثي دائمًا، أيًا كانت الأسباب الممتازة التي تُقَدَّم لتبرير هذه الخطوة الهائلة. تخليت مرة واحدة فقط في حياتي عن حب. كان حبي الأول ثم تدريجا أصبحت واعيًا جدًا أن هذه الخطوة كانت خاطئة حين حاولت استرجاع هذا الحب الأول متأخرا، متأخراً جدا- كان موتها وشيكا- لكن بكثافة فريدة وشعور بالضرورة أعجز عن وصفه. وبالتالي لم أنبذ أبدًا حباً. عشت دراما وتحطَّم قلبي وساورتني الشكوك، لكني لم أهجر حبًا مرة أخرى. وأثق في حقيقة أن النساء اللواتي أحببتهن، قد أحببتهن وأحبهن حقًا دائمًا. لهذا لديّ أسبابي الخاصة التي تجعلني أعرف أن المجادلة الشكّية غير دقيقة.

وثانيًا، لو «أحبك» كانت بشارة «سوف أحبك دائما»، وفي معظم الأحوال. فهي في الحقيقة ترسخ الصدفة في خطاب السرمدية. يجب ألا نخاف من الكلمات. ترسخ الصدفة هو إعلان السرمدية. وإلى حد ما ينص كل حُبّ على أنه سرمدي؛ فهذا مفترَض في الإعلان عنه.....تكمن المشكلة إذًا في نقش السرمدية داخل الزمن. وذلك لأن هذا هو الحب: اعلان عن السرمدية التي يجب تحقّقها أو بسطها بأفضل ما يمكن داخل الزمن. إنه هبوط السرمدية إلى الزمن. لهذا هي شعور جِدّ كثيف. في النهاية، يضحكنا مذهب الشَّك، لأنه لو حاول المرء

Twitter: ketab_n

أن يتخلى عن الحب أو أن يتوقف عن الإيمان به، فسوف تصيبه كارثة أصيلة شخصية والجميع يدرك هذا. يصح أن أقول إن الحياة تصبح رمادية جدًا. إذن، يظل الحب قوّة. قوة شخصية. خبرة من تلك الخبرات النادرة التي تختبر فيها عرض السرمدية انطلاقا من الصدفة المنقوشة في لحظة ما. «دائما» هي الكلمة التي نستخدمها، في الحقيقة، لنعبِّر عن السرمدية. لأننا لا نستطيع أن نعرف، لا معنى «دائمًا»، ولا مُدَّتها. «دائمًا» تعني «سرمديًا». ببساطة، إنها التزام داخل الزمن، لأنك يجب أن تكون **كلوديل**[1] لكي تصدِّق أن الحب يستمر إلى ما وراء الزمن، في العالم الرائع ما بعد الحياة. لكن أن توجد السرمدية داخل الزمن كما توجد داخل الحياة فهذا هو ما يثبته الحب، الذي جوهره هو الولاء بالمعنى الذي أعطيته لهذه الكلمة. السعادة في كلمة! نعم، السعادة في الحب هي الدليل على أن الزمن يمكن أن يناسب السرمدية. وتستطيع أن تجد كذلك دليلا على ذلك في الحماسة السياسية التي تشعر بها حين تشارك في فعل ثوري؛ في اللذة التي تمنحها أعمال الفن؛ وتقريبا في فرح فوقطبيعي تختبره حين تقبض أخيرا على عمق معنى نظرية علمية ما.

● **فلنفترض أن الحب هو قدوم اثنين، مثل « مشهد من اثنين». ماذا عن الطفل ؟ ألن يحوِّل أو يغيِّر الطفل «مشهد من اثنين» هذا؟**

---

(1) شاعر فرنسي ومسرحي ودبلوماسي

Twitter: ketab_n

أليس هو «الواحد» الذي سوف يجمع «الاثنين» المحبين، لكنهم يصبحون كذلك «ثلاثة»؛ وقد يُطيل بقاءهما، لكن قد يفصلهما أيضاً؟

■ هذا سؤال عميق ومهم على السواء. لي صديق مثقف، يهودي ممارس لشعائر اليهودية، جيروم بيناروش، يقبل جزئيا فرضيتي حول الحب. يقول لي دائمًا: نعم، الحب هو دليل على اثنين، إنه إعلانهما وسرمديّتهما، لكن تأتي لحظة حين يجب أن يبرهن الحب نفسه في نظام الواحد. هذا يعني، لا بد من العودة إلى الواحد. والصورة الرمزية والحقيقية لهذا الواحد هو الطفل. ويظل الهدف الحقيقي للحب وجود الطفل دليلًا على الواحد. لقد تحدّيت اعتراضه امبريقيا من عدة مستويات، خاصة لأنه يتطلب إنكار الطبيعة الغرامية لزوج عقيم، وللمثليين... إلخ. ثم، على مستوى أعمق قلت له: إن الطفل جزء فعلا من فضاء الحب، وهو كما أسميه ضمن قاموسي الفلسفي: نقطة. نقطة هي في الأساس لحظة خاصة يؤسس حدث ما حولها نفسه، حيث لا بد من أن يلعب من جديد، مرة أخرى بالطريقة ذاتها، كما لو أنه يعود في شكل مختلف وفي مكان آخر، لكنه يجبرك حينئذ، على «إعلانه من جديد». باختصار، نقطة تأتي حين تجبرك عواقب بناء الحقيقة سواء كان ذلك سياسياً أو غراميًا أو فنّياً أو علمياً، على أن تقوم مرة أخرى باختيار راديكالي، كما لو أنك عدت إلى البداية، حين قبلت الحدث وأعلنته. ومرة أخرى لا بد أن تقول: «أقبل

Twitter: ketab_n

هذه الصدفة وأريدها وأتحمَّل مسؤوليتها». في حالة الحب، لا بد أن تعيد إعلانك، غالبا بسرعة شديدة. قد تقول حتى: لا بد أن (تعيد) القيام بهذه النقطة. وأعتقد أن هذا هو الطفل والرغبة في الحصول على طفل وميلاده. إنه يشكل جزءًا من سيرورة الحب، في شكل نقطة من أجل الحب، كما هو واضح. نحن نعرف أن الميلاد، معجزة وتحدٍّ في الوقت ذاته، اختبار لكل الأزواج. يصبح ضروريا إعادة توزيع الاثنين حول الطفل، لأنه، تحديدًا، واحد. لا يستطيع الاثنان أن يستمرا في اختبار بعضهما في العالم كما فعلا قبل أن يواجها هذه النقطة. لا أنكر على الإطلاق أن الحب تسلسلي؛ بكلمات أخرى، الحب ليس مستقلا. توجد نقاط واختبارات واغراءات وظهورات جديدة، وفي كل مرة لا بد أن تلعب من جديد «مشهدًا من اثنين»، وأن تجد الكلمات لإعلان جديد. بعد الإعلان المبدئي، لا بدّ أن «يعلن (الحب) من جديد» كذلك. ولهذا، الحب هو مصدر الأزمات الوجودية العنيفة. مثل جميع سيرورات الحقيقة. علاوة على ذلك، ومن هذا المنظور، نجد كذلك تماثلًا مذهلًا بين السياسة والحب.

Twitter: ketab_n

Twitter: ketab_n

الفصل الخامس

الحب والسياسة

Twitter: ketab_n

Twitter: ketab_n

● لماذا السياسة هي والدة الحب. هل لأن السياسة تشمل الأحداث والاعلانات والولاءات كذلك؟

■ من وجهة نظري تشكل السياسة إجراءً حقيقياً، لكنه الإجراء الذي يتمركز حول الجمعي. أعني أن الفعل السياسي يختبر حقيقة ما يقدر على انجازه الجمعي. على سبيل المثال، هل تستطيع السياسة تحقيق المساواة؟ هل تستطيع أن تدمج ما هو لا متجانس/ متغاير؟ هل تعتقد بأنه لا يوجد إلا عالم واحد فقط؟ أشياء من هذا القبيل. يمكن تصنيف السياسة في السؤال التالي: ما الذي يستطيع الأفراد عمله حين يلتقون، وينتظمون، ويفكّرون ويقررون؟ في الحب، يتعلّق الأمر بمعرفة ما إذا كانا، كشخصين، قادرَين على التعامل مع الاختلاف وجعله خلّاقًا. في السياسة، يتعلّق الأمر بمعرفة ما إذا كان عدد من الناس، كتلة من الناس في الحقيقة، يمكنها الإبداع على قدم المساواة. وكما توجد العائلة على مستوى الحب لكي تمارس اجتماعيًا تأثيره، فعلى مستوى السياسة توجد السلطة- الدولة، لكي تقمع حماسته. هناك بين السياسي، باعتباره الجمعي الفكري-العملي،

Twitter: ketab_n

وقضية السلطة أو الدولة، باعتبارها تنظيم وإدارة، العلاقة ذاتها الصعبة التي توجد بين قضية الحب باعتباره ابتكاراً بدائياً لاثنين، وبين العائلة باعتبارها النواة الأساسية للملكية والأنوية.

أساسا، لو أنك تلعب بكلمة «الدولة»[1] يمكن أن تعرّف العائلة بدولة/ حالة الحب. فعلى سبيل المثال، حين تشارك في حركة جماهيرية سياسية كبرى تختبر التوتر الدالّ عينه بين السؤال عن «ما الذي يقدر عليه الجمعي؟»، والسؤال عن قوة الدولة وسلطتها. النتيجة هي أن الدولة على وشك خيانة الأمل السياسي تقريبا. هل أنا بحاجة إلى أن أؤكد الآن أن العائلة دائما على وشك خيانة الحب؟ ترى أننا يجب طرح هذا السؤال. في رأيي إن العائلة لا تتعامل إلا نقطة بعد نقطة وقرارا بعد قرار. هناك نقطة الاختراع الجنسي، ونقطة الطفل، ونقطة الرحلات، ونقطة العمل والأصدقاء وليالي السمر والإجازات، وأيا كان... وقصر كل هذه النقاط على عنصر إعلان الحب ليست مسألة سهلة. بالمثل في السياسة، توجد نقاط لسلطة الدولة والجبهات السياسية والقوانين والبوليس.. وليس سهلًا أبدًا قصرها على وجهة نظر سياسية مفتوحة ثورية تعتنق المساواة.

في الحالتين، لدينا إذًا إجراءات، نقطة بنقطة، وتشكّل قاعدة طرحي في مواجهة صديقي المتديّن. لا تخلط الاختبار مع النهاية. فمن المحتمل ألا يتم إدراك السياسة من دون الدولة،

---

(1) دال الدهر: انقلب من حال إلى حال

Twitter: ketab_n

لكن هذا لا يعني أن القوة هدفها. فهدفها هو أن تكتشف ما الذي يقدر عليه الجمعي، وليس القوة ذاتها. بالمثل، الهدف في الحب هو اختبار العالم من وجهة نظر الاختلاف، نقطة بنقطة، وليس فقط ضمان انتاج النوع. سوف يجد الأخلاقي المرتاب تبريرا لتشاؤمه في العائلة، بأنها دليل على أن الحب في نهاية المطاف خدعة ببساطة لضمان إنتاج النوع، وخدعة المجتمع لضمان توارث الميزات. لكني لن أقبل فرضيته. كما لن أقبل وجهة نظر صديقي بيناروش بأن الخلق الرائع لقوة الاثنين التي يولّدها الحب يرتبط بالانحناء أمام عَظَمَة الواحد في النهاية.

● لماذا إذًا لا تستطيع تصور «سياسة الحب» كما رسم جاك لاكان خطوط «سياسة الصداقة»؟

■ لا أعتقد بأنك تستطيع خلط الحب مع السياسة. في رأيي، «سياسة الحب» تعبير بلا معنى. أعتقد بأنه حين تبدأ في قول «أحبوا بعضكم»، قد يؤدي هذا إلى نوع ما من الأخلاق، لكن لن يؤدي إلى أي نوع من السياسة. أولًا، في السياسة هناك أفراد لا يستطيع أحد أن يحبهم. هذا لا يمكن إنكاره. لا يستطيع أي شخص أن يتوقع منا أن نحبهم.

● إذًا، على عكس الحب، تدور السياسة حول المواجهة بين الأعداء؟

Twitter: ketab_n

■ حسنًا، تعرف أنه، في الحب، مع الاختلاف المطلق الذي يوجد بين الفردين، احد أكبر الاختلافات التي يستطيع المرء تخيّله، مع معطى أنه اختلاف لا نهائي، يمكن للقاء، والإعلان، والولاء، تحويل هذا الاختلاف إلى وجود إبداعي. لا شيء من هذا القبيل يمكن أن يحدث في السياسة بالنسبة للتناقضات الأساسية، وواقع أن هناك في الحقيقة أعداء معينين تعيين واضح. إحدى القضايا المركزية في الفكر السياسي هي قضية الأعداء، ومن الصعب جدا التعامل معها اليوم؛ جزئيا بسبب الإطار الديموقراطي الذي نشتغل ضمنه. إن القضية هي: هل هناك أعداء؟ أعني بهذا أعداء حقيقيون. الشخص الذي تقبله، حزينًا وممتعضًا، الذي يصل إلى السلطة دوريا، لأن الكثير من الناس صوَّتوا له ليس هو العدو الحقيقي. هذا الشخص يزعجك وجوده على رأس الدولة لأنك كنت تفضّل غريمه. وسوف تنتظر دورك، خمس سنوات أو عشرة أو أكثر. العدو: هذا شيء آخر! إنه الشخص الذي لن تدعم أي قرار يتخذه بشأن من شؤونك. إذن، هل هناك عدو حقيقي أو لا؟ يجب أن يكون هذا السؤال نقطة انطلاقنا. في السياسة، هذه قضية مهمة للغاية واعتدنا أن ننحّيها جانباً سريعاً. في الحب، تصبح قضية العدو غريبة تماما. في الحب، قد تقابل عوائق، قد تغمرك الدراما الداخلية، لكن في الحقيقة لا يوجد أعداء في الحب. قد يعترض شخص ما قائلا: ماذا عن غريمي؟ الشخص الذي يفضّله حبيبي عليّ؟ حسنا، هذه مسألة مختلفة اختلافًا كلّيًا. في السياسة،

Twitter: ketab_n

يصبح الصراع مع العدو هو الفعل. يشكل العدو جزءًا من جوهر السياسة. تعرّف السياسة الحقيقية عدوها الحقيقي. من ناحية أخرى، يظل الغريم خارجيًا تمامًا، فهو ليس جزءًا من تعريف الحب. في هذه النقطة أختلف جذريًا مع هؤلاء الذين يعتقدون بأن الغيرة عنصر مكوِّن من عناصر الحب. وأكثر من يجسّد هذا تجسيدًا عبقريًا **بروست**، الذي يرى الغيرة مكونًا حقيقيًا وحادًا وشيطانيًا في الذات المحبة. أعتقد أن هذا الرأي ببساطة هو تنوّع لأطروحة الأخلاقيين أصحاب مذهب الشك. إن الغير كائن طفيلي زائف يتغذّى على الحب ولا يساعد إطلاقًا في تعريفه. هل يجب على كل حب تحديد غريم خارجي قبل أن يعلن عن نفسه، قبل أن يبدأ. مستحيل! الحال هو العكس: إن الصعوبات الداخلية للحب، والتناقضات الداخلية لمشهد **الاثنين** يمكن أن تتبلور حول طرف ثالث، غريم، متخيَّلاً كان أو حقيقيًا. إن الصعوبات التي ينطوي عليها الحب لا تنبت من وجود عدو تمّ تحديده. هذه الصعوبات داخلية في سيرورته: اللعبة المبدعة للاختلاف. إنها الأنانية: هي عدو الحب، وليست غريمه. يمكن أن نقول: إن عدو حبيبي الأساسي، الذي يجب أن أهزمه، ليس الآخر، بل نفسي، إن «نفسي» التي تفضّل الهوية على الاختلاف، التي تفضّل أن تضع عالمها في مواجهة العالم الذي تمت تنقيته وإعادة بنائه من خلال منشور الاختلاف.

Twitter: ketab_n

● الحب يمكن أن يكون حربًا أيضًا...

■ لا بد أن نضع في اعتبارنا أن إجراء الحب، مثل العديد من إجراءات الحقيقة، لايتّصف بالسلام دائمًا. يمكن أن يتشكّل من شجارات عنيفة، ومعاناة وانفصالات قد نتجاوزها وقد لا نستطيع. يجب أن ندرك أنها خبرة من أكثر الخبرات ألماً في الحياة الشخصية لأي فرد! لهذا يدعم بعض الناس دعائية «الضمان الشامل». لقد ذكرت فعلياً أن الناس تموت بسبب الحب. هناك موتى/ صرعى الحب ومنتحرو الحب. في الحقيقة، إن الحب، طبقا لمقياسه، ليس بالضرورة سلميًا أكثر من السياسة الثورية. إن الحقيقة ليست شيئا ما مشيَّداً في حديقة ورود. أبدًا! فللحب نظامه الخاص به الذي يحمل في داخله التناقضات والعنف. لكن الاختلاف، نصطدم به، في السياسة، مع قضية العدو، حقاً، في حين أنه في الحب يصبح سؤال الدراما. الدراما الباطنية والداخلية التي لا تحدّد، حقاً، أي أعداء، لكنها تضع في بعض الأحيان دافع الهوية في صراع مع الاختلاف. إن دراما الحب هي أكثر الخبرات حدة في الصراع بين الهوية والاختلاف.

● ومع ذلك، أليس من الممكن أن نجمع الحب والسياسة معا، من دون أن نقع في فخّ المذهب الأخلاقي لسياسة الحب؟

■ هناك مفهومان سياسيان أو فلسفيان سياسيان؛ يمكن أن نقارنهما على مستوى شكلي محض بالديالكتيك الموجود في

Twitter: ketab_n

الحب. أولا، تشمل كلمة «شيوعية» فكرة أن الجمعي قادر على دمج كل الاختلافات التي توجد خارج مجال السياسة. لا يجب منع الناس عن المشاركة في العملية السياسية من النوع الشيوعي لأنهم هذا أو ذاك، أو لأنهم ولدوا هنا أو جاؤوا من مكان آخر، أو يتحدثون هذه اللغة أو تلك، أو يحملون تلك الثقافة أو غيرها، على النحو عينه الذي لا تمثّل الهويات، داخلهم، عائقًا أمام الحب. إن الاختلاف السياسي مع العدو، فقط، «متناقض» كما يقول ماركس. وهذا ليس له معادل في إجراء الحب. ثم لدينا كلمة «الإخاء». إن مصطلح» «الإخاء» هو أكثر مصطلحات شعار الجمهورية غموضًا. يمكن أن نتناقش حول «الحرية»، لكننا نعرف ما هي. ويمكن أن نقدم تعريفا دقيقا تماما عن ماذا تعني «المساواة»؟ لكن ماذا يعني «الإخاء»؟ هذا يمسّ بلا شك قضية الاختلاف، ووجوده المشترك الودود في العملية السياسية بأن الحدود الأساسية هي مواجهة العدو. وهذا مفهوم يمكن أن يغطيه مذهب العالمية؛ فلو أن الجمعي قادر حقًا على تحمل مسؤولية المساواة، فإن هذا يعني أنه يمكن أن يدمج أكثر التباينات حدة، ويسيطر سيطرة صارمة على قوة الهوية.

● في بداية حوارنا، تحدّثت عن المسيحية على أنها «ديانة الحب». فلنركّز الآن على تجسّدات الحب في الإيديولوجيات العظيمة. في رأيك، كيف تتدبّر المسيحية القبض على القوى غير العادية التي يتمتّع بها الحب؟

Twitter: ketab_n

■ في هذا السياق، أعتقد أن البوذية مهَّدت تمامًا الطريق للمسيحية. إن وجود الحب في العهد القديم دالّ، على مستوى التشريعات والوصف على السواء. فأيًّا كان فحواها اللاهوتي فأغنية الحب التي هي «نشيد الأناشيد» واحدة من أكثر الاحتفاءات القوية بالحب التي كتبت على مر الزمن. المسيحية في حد ذاتها أفضل نموذج على استخدام كثافة الحب نحو مفهوم ترانسندنتالية الكون. تقول المسيحية: لو أحببتم بعضكم، سيقترب هذا المجتمع المحب من الينبوع النهائي لكل الحب الذي هو ترانسندنتالية إلهية في حد ذاته. إنها تقدّم فكرة أن قبول خبرة الحب، خبرة الآخر، النظرة التي تنبثق تجاه الآخر، تساهم في خلق فكرة الحب الأعلى الذي هو الحب الذي ندين به لله والحب الذي يضعه فينا الله على السواء. وبالطبع، هذه ضربة عبقرية! دبرت المسيحية الإمساك، باسم كنيستها- تجسيدها للدولة-، بهذه القوة التي خوَّلت لها، على سبيل المثال، أن تحقّق قبول الفرد للمعاناة باسم المصالح العليا للمجتمع وليس فقط باسم بقاء الفرد.

فهمت المسيحية بامتياز أن الاحتمالية الظاهرية للحب تحمل عنصرًا يحميه من اختصاره إلى هذه الاحتمالية. لكن، وهنا المشكلة، يرفعه على الفور إلى مستوى الترنسدنتالية. هذا العنصر الكوني الذي أدركه كذلك في الحب أراه عنصرا باطنيا. غير أن المسيحية تدبَّرت بطريقة ما كذلك أن ترفعه وأن تعيد تركيزه في قوة ترنسدنتالية. إنها الحركة التي نجدها جزئيا عند

Twitter: ketab_n

أفلاطون، من خلال فكرة الخير. إنها الاستغلال الأوَّل العبقري لقوة الحب والذي يجب الآن وضعه على الأرض. أعني أننا يجب أن نبين أن الحب يتمتع فعليًا بقوة كلّيّة، لكنه ببساطة تامة هو احتمالية أن نجرِّب خبرة توكيدية وإبداعية وإيجابية للاختلاف. إنه الآخر، بلا شك، لكن من دون «الأخر- القدير»، من دون «الآخر العظيم» في الترنسندنتالية.

في التحليل الأخير، لا تتحدث الأديان عن الحب. إنها تهتم فقط به باعتباره مصدراً للكثافة، للحالة الشخصية التي يستطيع وحده فقط خلقها، وكل هذا بهدف توجيه هذه الكثافة إلى الإيمان والكنيسة من أجل وضع هذه الحالة الشخصية في مصلحة هيمنة الله. إن النتيجة هي، علاوة على ما سبق، أن المسيحية تقدّم عوضاً عن الحب النضالي الذي أمدحه هنا -الإبداع الأرضي لولادة مختلفة لعالم جديد، سعادة ننتزعها نقطة نقطة- تقدم المسيحية حبا سلبيا وورِعاً وخاضعا. إن الحب على ركبتين راكعتين ليس حبا على الإطلاق بقدر علمي، حتى ولو أنه يبعث عاطفة داخلنا تجعلنا نذعن لمن نحب.

● **لقد عملت مع أنطوان فيتز، خصوصًا حين كان يجهّز إنتاجه الشهير: «خُفّ إبليس» لبول كلوديل. هل التأمل الذي قدّمه مؤلف «استراحة الظهيرة». الغارق تمامًا في المسيحية، لديه ما يقوله اليوم للناس الذين لم يعودوا مسيحيين؟**

Twitter: ketab_n

■ كلوديل كاتب دراما عظيم عن الحب. لقد كرَّسَ«خُفّ إبليس» و«استراحة الظهيرة» بكامله لمعالجة هذه الثيمة. من ناحية أخرى، ما الذي لدى كلوديل يثيرنا الآن لا يثيره مباشرة مجتمع القديسين وثواب العقود الخيرة والخلاص في ما بعد الحياة. لا أستطيع إلا أن أفكر في نهاية «استراحة الظهيرة»: «افترقنا، لكن لم نتوقف عن حمل بعضنا، هل يجب أن نحمل عبء أرواحنا الشقية؟». لدى كلوديل حساسية، خاصّة، تجاه فكرة أن الحب الحقيقي يتغلّب على المستحيل:«أصبحنا بعيدين عن بعض، لكن لن نتوقف عن حمل بعضنا البعض»... بوضوح تام، الحب ليس احتمالية. على الأحرى، هو تجاوز شيء ما يبدو مستحيلا. شيء ما يوجد، لا سبب له، لم يقدم لك أبدا على أنه احتمالية. وهذا سبب آخر كذلك يوضح زيف دعاية الموقع الالكتروني ميتيك للمواعيد الغرامية. فهو يعمل بناء على فرضية أنك تفحص كل الاحتمالات وتنتقي الأفضل لكي تستمتع بحب آمن. لكن الواقع غير ذلك! ليس مثل القصص التي يصطَفّ فيها الخاطبون طابوراً.

إن تجاوز المستحيل يعني بداية الحب؛ وكلوديل شاعر المستحيل العظيم مع تيمة المرأة المحرَّمة. ومع ذلك، يحمل الزّهر لديه حظًّا سيئًا إلى حد ما، بما أن المستحيل نسبي لأنه أرضي. أعتقد بأن لديه مشهدين من «مشهد من اثنين» بدلا من واحد. الأول هو خبرة استحالة الحب على الأرض. الثاني حين

Twitter: ketab_n

يتآلف اثنان في عالم الإيمان. من الرائع أن تتابع آلياته الشعرية الرائعة التي يستخدمها ليغني المشهد الثاني انطلاقًا من قوة الأول بلُغة رائعة. هذه هي المسيحية. تقوم دعايتها بالقوة الأرضية للحب بقولها: «نعم، توجد أشياء معينة مستحيلة بالرغم من هذه القوة، لكن لا داعي للقلق لأن ما هو مستحيل هنا في الأسفل، ليس كذلك بالضرورة في ما بعد الحياة». دعائية أولية جدًّا لكنها مفحِمَة.

● إن الرغبة في جلب الحب إلى الأرض، إلى الحركة من الترنسندنتالي إلى الباطني - رغبة مركزية في الشيوعية التاريخية. كيف يمكن أن يصبح إعادة تنشيط الفرضيات الشيوعية طريقًا لإعادة ابتكار الحب؟

■ أشرت مبكرا لما أراه في هذه الاستخدامات السياسية لكلمة «حب»، وكيف يُساء استخدامها كاستخدامات دينية. من ناحية أخرى، نتعامل هنا أيضا مع قوة ترانسدنتالية تفهم قوة الحب. لم يعد الله بعد الآن، بل الحزب، ومن خلال الحزب، قائده الأعلى. يلخِّص تعبير «عبادة الشخصية» هذا النوع من الانتقال الجمعي للحب إلى شخصية سياسية. وانضمّ الشعراء كذلك: انظر إلى نشيد الأنشاد الذي نظمه أوراد لستالين؛ وترنيمات أراغون عن عودة موريس توريز إلى فرنسا بعد مرضه.... إن ما يثير اهتمامي أكثر هوعبادة الحزب على هذا النحو. كذلك، نرى

Twitter: ketab_n

أراغون قد أصابته الأعراض: «أعاد حزبي ألوان فرنسا إليّ»، إلخ. نرى الحب على الفور ملطَّفا. فالكلمات متشابهة جدًّا في «مقدَّر لنا الرحيل» وإلى «إلزا تريولت». من اللافت للانتباه أن نرى كيف أصبح الحزب الذي اعتقدنا أنه ببساطة أداة انتقالية لظهور الطبقات العاملة والشعبية، يتشيّأ هكذا.

لا أريد أن أهزأ من أي من هذا: لقد كان عصر العاطفة السياسية الذي لا يمكننا الاستمرار فيه، والذي يجب أن نراه الآن بعين نقدية، لكنه كان كثيفًا وحصد الملايين إيمانًا به. ما يجب أن نقوله، بما أن الحب تيمتنا، لا يجب خلط الحب مع العاطفة السياسية. إن المشكلة التي تواجهها السياسة هي سيطرة الكره وليس الحب. والكره هو عاطفة تمتلك حتميًا قضية العدو. بكلمات أخرى، في السياسة، حيث توجد قضية العدو، يصبح الدور الوحيد للمنظمة، أيا كانت، هو السيطرة على الكره، وفعليا محو عواقبه. هذا لا يعني أنها يجب أن «تبشّر بالحب». لكن، وهذا هو التحدي الفكري العظيم، أن تعطي للعدو السياسي تعريفا أدق وأكثر تحديدًا. وليس، كما كان الحال خلال معظم القرن الماضي كله تقريبًا، التعريف الأكثر غموضًا وهلهلة.

● هل من الأفضل فصل الحب عن السياسة؟

■ جزء كبير من عمل الفكر المعاصر في الآونة الحديثة هو

Twitter: ketab_n

فصل ما جُمع معاً خطأ. بالطريقة ذاتها التي يجب فيها السيطرة على تعريف العدوّ وتحديده وتقليصه إلى الحد الأدنى، لا بدّ من فصل الحب فصلا تاما عن السياسة، باعتباره مغامرة فردية في السؤال عن الحقيقة حول الاختلاف. حين أتحدث عن الفرضية الشيوعية، فإنني ببساطة أقول مايلي: الأشكال المستقبلية من سياسة التحرير يجب أن تحفر في إحياء الفكرة الشيوعية وتوكيدها؛ فكرة عالم لا يستسلم أمام شهية الملكية الخاصة، عالم من الارتباط الحُرّ والمساواة. من أجل هذا الهدف، لدينا أدوات فلسفية جديدة وعدد معقول من الخبرات السياسية المحلية، التي شهدت تفكيرا متجدّدا. في هذا الإطار، يصبح الحب طيّعا لإعادة ابتكاره أكثر مما لو أحاطه السُّعار الرأسمالي. ذلك أننا يجب أن نتيقن من أن كل ما هو إيثاري لن يشعر بالراحة في خضمّ هذا السُّعار. والحب، مثل أي إجراء يبحث عن الحقيقة، أساسا إيثاري: تكمن قيمته في ذاته وحدها وتتجاوز المصالح الآنية للطرفين. إن معنى كلمة «شيوعية» لا تتعلق مباشرة بالحب. ومع ذلك، تجلب الكلمة معها احتمالات جديدة للحب.

● هناك بُعدٌ محتملٌ آخر لتجسيدات الحب في السياسة الشيوعية. إنها القصص التي بُنيت على أساس الاضطرابات أو الحركات الاجتماعية. تشدِّد غالبٌ على هذا البعد، بما أنه،

Twitter: ketab_n

لوهلة، يسمح بانتهاك الحب ليتحالف مع الانتهاك السياسي. ما خصوصية هذه القصص في الصراع؟

■ أحمل حساسية خاصة لهذا الوجه من الأشياء لأنني كرست جزءًا كبيراً من كتابتي، كروائي وكاتب مسرحي، لهذا الموضوع. في مسرحيتي «الشال الأحمر»، تهتم القصة أساسا بالحب بين أخ وأخت بعيدين عن بعض في كل تجسيدات الحركة السياسية الضخمة التي شملت حروب التحرير والإضرابات والتظاهرات... في روايتي «مبنى هادئ هنا».- التي يتطابق إطارها الشكلي مع رواية البؤساء لهوغو- يغلّف التصوير الثوري حب العامل الشيعي أحمد أزماني لإرهابية، إليزابيث كاثلي، ثم لطفلها سيمون الذي تبنّاه بعد موتها، من أجل كلود أوغاساوارا الشاعرة وابنة أحد الرجعيين البارزين. في كل هذه اللحظات، لم تكن نيَّتي تسليط الضوء على التماثل بين الحب والالتزام الثوري، بل على الأصداء السرية التي تتولّد في أكثر الخبرات الفردية حميمية، بين الكثافة التي تتطلّبها الحياة حين نكون ملتزمين مائة بالمائة بفكرة معينة والكثافة المميزة نوعيًا التي يولّدها الصراع مع الاختلاف في الحب. هذا يماثل آلتين موسيقيتين تختلفان اختلافًا تامًا في النبرة وحجم الصوت، لكنهما تتقاربان تقاربًا غامضًا حين يوحّد بينهما موسيقي عظيم في العمل ذاته. اسمح لي أن أبوح بسر، لقد نقشت في هذه الأعمال الأدبية تقييما لحياتي في «السنوات الحمراء»

Twitter: ketab_n

بين مايو 1968 وثمانينات القرن الماضي. هذه هي الفترة التي طوَّرت أثناءها اعتقادًا سياسيًا بقيت مخلصًا له ومعه إخلاصًا عنيدًا؛ أحد أسمائه المحتملة «الشيوعية». لكنني حينئذ، وعلى قدم المساواة، بنيت حياتي حول سيرورات الحب التي كانت حاسمة. ما جاء بعد ذلك في السياق ذاته أضاءه هذا المصدر واستمراريته. فكما ذكرت سابقًا، يجب ألا ينبذ المرء، على الأخصّ، اعتناقه الحب والسياسة. لقد كانت تلك اللحظة التي عثَرَت فيها حياتي على الوتر الموسيقي، بين السياسة والحب، الذي خلق تناغم إيقاعها.

Twitter: ketab_n

Twitter: ketab_n

الفصل السادس

الحب والفن

Twitter: ketab_n

Twitter: ketab_n

● في القرن، ناقشت نصّ أندريه بروتون، «خفايا17»، وبيّنت كيف أن القرن العشرين كان عصرًا عظيمًا عزَّزَ الحب كاستعارة للحقيقة. لكن ماذا يعني اندريه بروتون حين يتمنى في «سمكة ذائبة» أن يختصر «الفن إلى أبسط تعابيره، الذي هو الحب»؟

■ كان المشروع السريالي الرئيس هو ما تحدثنا عنه في البداية؛ بمعنى، أنه يتبع حكم رامبو بابتكار الحب من جديد. وكان هذا التجديد بالنسبة للسورياليين حركة فنية وحركة وجودية وحركة سياسية غير قابلة للفكاك عن بعضها. لم يفرِّقوا بين الثلاث. يتمتّع الفن بنقطة قوية جدًّا وهي تحقيق العدالة للحدث. هذا يمكن أن يصبح حتى تعريفًا من ضمن التعريفات المحتملة للفن: الفن هو ما يقوم بتحقيق العدالة تحقيقًا كاملًا للحدث، على المستوى الفكري. في السياسة، يقوم التاريخ بترتيب الأحداث بعد وقوعها. لكنّ الفن متفرِّدًا في استعادة أو محاولة استعادة، كامل قوتها الكثيفة. وحده الفن يستعيد بُعد المعاني للقاء، للثورة، للتمرّد. إن الفن في كل أشكاله هو تأمّل عظيم للحدث كما هو. إن اللوحة العظيمة هي القبض

Twitter: ketab_n

على شيء ما لا يمكن اختصاره إلى ما تعرضه بأسلوبها. ينبثق الحَدَث الخفيّ، وإذا كان يمكن أن أصفه هكذا، يخترق ما نراه. يذكّرنا **بروتون**، من وجهة النظر هذه، أن العلاقة (علاقة الفن) بالحب وثيقة، بما أن الحب، أساسا، هو اللحظة التي يخترق فيها الحدث الوجود. هذا يشرح «الحب الجنوني». ذلك أنه لا يمكن اختصار الحب لأي قانون. لا يوجد قانون للحب. كثيرًا ما أظهر الفن الجانب اللااجتماعي للحب. وكما يقول المثل الشائع في النهاية «العشاق وحيدون في العالم». هم وحدهم يمتلكون ذلك الاختلاف الذي يختبرون به العالم. يحتفي السرياليون بـ «الحب الجنوني» على أنه قوة واقعية تتجاوز أي قانون. إن الفكر الذي ينبع من الحب يولد في مواجهة أي نظام، في مواجهة النظام القوي للقانون. وجد السورياليون في هذا منبع تغذية رغباتهم في ثورة شعرية في اللغة، وأصرّ على ثورة شعرية في الوجود أيضا. من وجهة النظر هذه، اهتموا بالحب وبالجنس، كمبدأ، كدعم محتمل للثورة في الوجود. من ناحية ثانية، لم يهتموا كثيرا بالاستمرارية. وقبل أي شيء، قدّموا الحب قصيدة رائعة للقاء. على سبيل المثال، في رواية ناجو، تصوير لشعرية اللايقين واللقاء الغامض الذي سوف يصبح «الحب الجنوني «عند منعطف الطريق القادم. الحب حقا هناك على عكس الحسابات، في اللقاء الصافي. لكنه فعلا ليس في الاستمرارية، وليس في بُعْد السرمدية.

Twitter: ketab_n

من ناحية أخرى، أكّد بعض الفلاسفة أن السرمَدية هي اللحظة. نجد فعليا هذه الفكرة في الفكر اليوناني. أصبحت اللحظة هي البُعد الزمني الوحيد للسرمدية. هذا يدعم بروتون. فبالطبع، تعدّ لحظة اللقاء الإعجازي بسرمَدية الحب. لكن ما أريد أن أطرحه هنا هو مفهوم للسرمدية أقل إعجازًا ويتطلّب بذل مجهود أكبر؛ إنه بناء السرمدية داخل الزمن، لخبرة الاثنين المُصرّين، نقطة نقطة. أعترف بمعجزة اللقاء، لكني أعتقد بأنها تظل حبيسة الشعرية السوريالية، إذا ظلت معزولة، إذا لم نوجّهها نحو الأفعال القادمة لبناء الحقيقة نقطة نقطة. يجب أن نفهم «الأفعال» هنا إيجاباً. هناك فعل في الحب، فهو ليس معجزة ببساطة. يجب أن تكون متأهِّبًا، ويقظًا؛ يجب أن تكون متّحدًا مع نفسك ومع الآخر في الوقت ذاته. لا بد أن تفكّر وتعمل وتغيِّر. ومن ثم، نعم، مثل مكافأة باطنية عن العمل الشاق، تأتي السعادة بالتأكيد.

● أجد غريبًا أنك تشير دائمًا إلى صمويل بيكيت عند الحديث عن الحب. بالكاد أستطيع أن أقول إن أعمال بيكيت تركّز على السعادة. كيف تعمل أعماله، الشهيرة بالعدمية والتشاؤم على «مشهد من اثنين» الذي هو الحب؟

■ كما قلت، الأدب يحتوي القليل عن الحب في ما يخص خبرة استمراريته خلال الزمن. أمر يدعو للذهول. فلنأخذ

Twitter: ketab_n

المسرح على سبيل المثال. لو شاهدت النصوص التي تعرض صراعات المحبين الشباب في مواجهة استبداد عالم العائلة- وهو موضوع كلاسيكي تمامًا- يمكن أن تعطيها كلها عنوان ماريفو الفرعي انتصار الحب. تحت هذا النموذج، تحكي العديد من المسرحيات كيف أن هؤلاء الشباب، بمساعدة الخدم أو أي شخصيات أخرى متواطئة معهم، يخدعون الآباء الطاعنين في السن، ويحقّقون في النهاية ما يريدون، وهو في الأساس الزواج. إنه انتصار الحب، لكن ليس استمراريته. هذا بالضبط ما يمكن أن تسميه حبكة اللقاء. بنيت العديد من الأعمال المهمة والروايات العظيمة حول استحالة الحب، واختباره، وتراجيديته، وخفوته، وفراقه، ونهايته، إلخ... لكن القليل منها يدور حول توكيد استمراريته. يمكن أن نقول حتى إنه لم يُنتَج عن الحياة الزوجية أعمالا عظيمة. إنها الحقيقة التي لم تلهم كثيرا الفنانين. والآن، نجد، تحديدا لدى بيكيت، الذي نقول عنه إنه كاتب اليأس والمستحيل شيء ما شديد الخصوصية بصدد هذا الموضوع: هو أيضا كاتب عناد الحب. فلنأخذ على سبيل المثال عمله «أيتها الأيام الجميلة» ؛ قصة عن زوج عجوز. لا نرى سوى المرأة والرجل يزحفان خلف المشهد، وكل شيء بالٍ، وهي تغرق في التراب/ الأرض، لكنها تقول: «كم كانت أيام جميلة». وتقول له هذا لأن الحب ما زال موجودا. الحب هو ذلك العنصر القوي والثابت الذي بنى وجودها في مظهر كارثي. والحب هو القوة الخفية لهذه الكارثة. في نص قصير رائع

Twitter: ketab_n

بعنوان، كفى، يحكي بيكيت تجوَّل زوج عجوز خلال ديكور جبلي وصحراوي في الوقت ذاته. والقصّة هي قصّة حب، قصّة استمرارية هذا الزوج العجوز، ولا يخفي على الإطلاق الحالة الكارثية لجسدهما، وأحادية نغمة وجودهما، والصعوبة المتنامية في ممارسة الجنس... إلخ. يسرد النص كل هذا، لكنه يضع القصة ضمن إطار القوة الرائعة، في النهاية، للحب وعناد استمراريته الذي يشكّله.

● **بما أنك تحدثت عن فن الدراما، أودّ أن أتوقّف عند هذا الحبّ الخاصّ جدًّا الذي لم تتخلّ عنه منذ طفولتك: حب المسرح. قبل أن تكتب ثلاثية أحمد، التي تحوّلت إلى مسرحية معاصرة على شاكلة «سابين» لموليير، أنت نفسك لعبت الدور الرئيس في مسرحية موليير في شبابك. ما طبيعة هذا الحب الراسخ الذي تحمله للمسرح؟**

■ حبي للمسرح معقّد جداً ويعود إلى زمن طويل. لعله أكثر قوة من حبي للفلسفة. يأتي حبي للفسلفة لاحقاً، ببطء وبصعوبة أعظم. أعتقد أن ما بَهَرَني في المسرح، حين كنت شابا ومثّلت، ذلك الشعور الذي انتابني فورًا بأن جزءا ما من اللغة والشعر مرتبطان بالجسد على نحو لا يمكن التعبير عنه تقريبا. وربما كان المسرح في الأساس بالنسبة لي، استعارة لما قد يكون الحب في ما بعد، لأنه كانَ اللحظة التي تلاشت فيها الحدود بين الفكر

Twitter: ketab_n

والجسد على نحو ما. فهما مكشوفان لبعضهما بطريقة لا يمكن أن تقول معها: «هذا جسد» أو «هذه فكرة». الاثنان ممتزجان، تحاصر اللغة الجسد، بالضبط مثلما تقول لشخص ما: «أحبك»، إنك تقول ذلك لشخص ما على قيد الحياة، يقف أمامك، لكنك تخاطب كذلك شيئا ما لا يمكن اختصاره إلى هذا الحضور المادي البسيط، شيئا ما يتجاوزه ويتضمّنه كلّية، في الوقت ذاته. هذا هو المسرح، في أصوله؛ إنه الفكرة في الجسد، إنه الفكرة- في -الجسد. يمكن أن أكرر كلمة فكرة مرة أخرى، بمعنى آخر. لأن المسرح، كما نعرف، يعني التكرار. يقول المخرج: «فلنكرر المشهد مرة أخرى». لا تندمج الفكرة بسهولة في الجسد. إنها مسألة معقّدة: علاقة الفكرة بالمكان مع الايماءات التمثيلية. لا بد أن تكون عفوية ومدروسة في الوقت ذاته. هذا ما يحدث في الحب أيضًا. الرغبة قوة آنية، لكن الحبّ يتطلب فوق ذلك الاستئناف والرعاية. يعرف الحب نظام التكرار. «قل مرة ثانية إنك تحبني»، وفي أحيان كثيرة: «قلها أفضل من هذا». وتبدأ دائمًا الرغبة مرة أخرى. يمكن أن نسمع، أثناء الملاطفة، كما لو أن الحب يسكنها «أكثر....أكثر»؛ نقطة حيث يعزّز الحاجة إلى الحركة إصرار الكلمة، والإعلان الجديد دائما. نحن نعرف تماما أن قضية أداء الحبّ في المسرح حاسمة، وتدور كلها تحديدا حول مسألة الإعلان. ولأنه يوجد، كذلك، مسرح الحبّ هذا وأداء الحبّ والصدفة، القويان جدًّا، على الأقل بالنسبة لي، أحمل هذا الحبّ للمسرح.

Twitter: ketab_n

● إنه كذلك الموقف الذي دعمه المسرحي انطوان فيتز، الذي أخرج عملك الأوبرالي «الشال الأحمر» ، في 1984، في مهرجان أفينيون، ووضع موسيقاه جورج أبريس. كتب فيتز: «هذا ما أردت أن أقدمه مسرحيًا دائمًا: أن أعرض القوة العنيفة للأفكار، كيف تلوي الأجساد وتعذِّبها.» هل تأخذ هذا المنهج في اعتبارك؟

■ بالتأكيد. أنت تعرف، بيسوا، الشاعر البرتغالي، يقول في مكان ما «الحب فكرة». هذه جملة تنطوي على المفارقة، ظاهريا، لأن الجميع يقول دائما إن الحب هو الجسد، هو الرغبة، هوالمشاعر، إنه أي شيء آخر سوى أن يكون العقل والفكرة. وهو يقول «الحب فكرة». أعتقد بأنه محق. أعتقد بأن الحب فكرة وأن العلاقة بين تلك الفكرة والجسد علاقة فريدة تماما ويعلِّمها دائمًا كما يقول أنطوان فيتز العنف الجامح. نختبر هذا العنف في الحياة. وحقيقي جدا أن الحب يمكن أن يلوي أجسادنا ويثير أقسى أنواع العذابات. إن الحب كما يمكن أن نلاحظ، ليس نهرًا طويلًا هادئًا. لا نستطيع أن ننسى تماما العدد المرعب من قصص الحب التي أدت إلى الانتحار أو القتل. إن الحب في المسرح ليس فقط، ولا حتى أساسا، فارساً جنسياً أو قصة رومانسية بريئة. إنه تراجيديا ورفض وغضب كذلك. إن العلاقة بين المسرح والحب هي كذلك علاقة اكتشاف للمتاهة التي تفصل الأفراد ووصف لهشاشة الجسر الذي يرميه الحب بين كيانين منعَزلَين.

Twitter: ketab_n

لا بد أن نعود دائما إلى هذا السؤال: أي فكرة تتكشّف روحة وجيئة بين جسدين يمارسان الجنس؟

لا بد أن نسأل كذلك، وهذا يتصل بسؤالك السابق، ما الذي كان سيقدمه المسرح لو أن الحب غير موجود؟ كان يمكن أن يتحدث، وقد فعل، مطوَّلًا عن السياسة. إذًا، نستطيع أن نقول إن المسرح هو السياسة والحب وتقاطعهما عمومًا. إن تقاطع السياسة والحب تعريف محتمل للتراجيديا. لكن حب المسرح هو، بالضرورة، حب الحب كذلك، لأنه من دون قصص الحب، ومن دون الصراع من أجل تحرير الحب من قيود العائلة، لن يضيف المسرح الكثير للحب. إن الكوميديا الكلاسيكية مثل مسرحيات موليير تقول لنا أساسًا كيف أن الشباب الذين تلاقوا صدفة يجب أن يقللوا من قيمة الزواج الذي رتّبه لهم آباؤهم. أما الصراع الأكثر شيوعا، والأكثر توظيفاً على خشبة المسرح هو صراع حب الصدفة في مواجهة القانون العنيد. أما الأكثر براعة فهو صراع الشباب الذي يدعمه البروليتاريا (العبيد والخدم)، في مواجهة القديم/ العجوز الذي تدعمه الكنيسة والدولة. وسوف تقول الآن: انتصر الحب، لم تعد الزواجات المرتّبة موجودة: الزوج Couple هو إبداع نقي. لكني لست متأكدًا تمامًا. الحرية، أي نوع من الحرية تمامًا؟ بأي ثمن؟ نعم، هذا سؤال حقيقي: ما الثمن الذي دفعه الحب لكي تنتصر حريته الظاهرية؟

● **ألا يشمل حبك للمسرح كذلك حب الجمهور، والجماعي**

Twitter: ketab_n

والتجمع، بما أنك عشت ذات يوم حياة الصحبة المسرحية وسط الممثلين والتقنيين؟ ألا يحمل المسرح الحب الذي ينتمي إلى نظام الأخوَّة؟

■ نعم، بالطبع، يوجد هذا الحب! المسرح هو الجماعي، هو تعبير جمالي عن الأخوّة. لهذا أطرح أنه يوجد، بهذا المعنى، شيء ما شيوعي في المسرح. وأفهم من «شيوعي» هنا كل صيرورة تجعل المشترك يسود على الأنانية، العمل الجمعي على المصلحة الذاتية الخاصة. وإذ نحن نتكلّم عنها يمكن أن نقول إن الحب شيوعي بهذا المعنى، لو أن المرء يقبل، كما أفعل، أن الموضوع الحقيقي للحب، هو تحقق الزوج وليس الإشباع المحض للفردين الطرفين المكوِّنين له. ولا يزال هناك تعريف محتمل آخر للحب: الحد الأدنى من الشيوعية!

بالعودة إلى المسرح، يدهشني دائمًا حقيقة أن مجتمع جولة المسرح متقلقل. إنني أفكر في الأوقات التعسة حين ينفصم هذا المجتمع: كنت في جولة وعشنا معًا لشهر، ثم فجأة كل يذهب في طريقه. يحتوي المسرح على خبرة الانفصام هذه. تعيش لحظات حزينة عظيمة حين تنفصم الأخوّة التي نمت في الأداء التمثيلي والمسرحي. «هذا هو رقم جوالي. فلنبقَ على اتصال. تمام؟»، تألف هذا الطقس. لكن، في واقع الأمر، لن يتصل أحد. إنها النهاية وكل واحد يمضي في طريق مختلف.

قضية الانفصام مهمة جدًا في الحب بحيث يمكن أن نُعرّف

Twitter: ketab_n

الحب بصراع ناجح في مواجهة الانفصام. مجتمع الحب كذلك متقلقل وتحتاج كذلك أكثر بكثير من رقم الهاتف لتعزيزه وتطويره.

● **وكيف هو حب المسرح، من الداخل؛ بمعنى من وجهة نظر الممثل الذي كنته يومًا ولعلك ترغب أن تصبحه مرة أخرى، تؤدي مرة أخرى بعض المونولوجات من أحمد البارع أو أحمد الفيلسوف؟**

■ إنه حب فريد يتطلّب أن تتنازل عن جسدك فريسة للغة، فريسة للأفكار. كما تعرف، كل فيلسوف هو ممثّل، بغض النظر عن العداء الذي يشعر به تجاه الألعاب والمحاكاة. نحن نتحدث جماهيريًا منذ أيام أسلافنا اليونانيين العظماء. هناك دائمًا في الفلسفة عنصر تعرية الذات وهو البعد الشفوي للفلسفة الذي يقبض عليه الجسد، في فعل انتقالي. هذه نقطة محل خلاف مع **جاك دريدا** الذي يحارب الشفاهة باسم المكتوب، بالرغم من أنه هو نفسه قدم أداءات رائعة. انتقد الفلاسفة كثيرا لأنهم سحرة، وآسرون للناس بوسائل صناعية ويقودونهم إلى حقائق غير محبَّبة بوسائل الإغـراء. يحتوي الكتاب الخامس من الجمهورية لأفلاطون (هذا الكتاب الهائل الذي أعدّ له «ترجمة كاملة» ومختلفة تماما) فقرة مدهشة تماما. يبدأ سقراط بتعريف الفيلسوف الحقيقي. ثم فجأة، يبدو أنه يغيِّر الموضوع. إليك نسختي (سقراط يتحدّث):

Twitter: ketab_n

«هل أنا بحاجة إلى تذكيركم بأمر، لا بد أن يظل حيًّا في ذهنكم بقوة؟ حين نتحدّث عن موضوع الحب، نفترض أن المحب يحب هذا الموضوع في كلّيته. لا نسمح لحبه أن يختار جزءًا منه ويرفض الآخر».

يبدو أن الشابين اندهشا. وتكون أمانثا هي التي تأخذ على عاتقها التعبير عن توهانهم: «عزيزي سقراط، ما الصلة بين هذه النزهة على شاطئ الحب وتعريف الفيلسوف؟».

«آه، سيداتنا الشابات المُحِبّات! غير قادرات على إدراك أن، «الحب فكرة»، كما قال الشاعر البرتغالي العظيم. اسمع «أيتها الشابات: إن الشخص الذي لا يتخذ الحب نقطة بداية له لن يعرف أبدًا ما هي الفلسفة»، هذا صحيح! يجب أن نتبع معلمنا القديم. لا بد أن يبدأ المرء بالحب. نحن الفلاسفة لا نملك تلك الوسائل العديدة؛ فإذا حُرمنا من وسائل الإغواء، نصبح حقًا عُزّل. وهكذا، بالمثل حين تكون ممثلا! فهو الإغواء باسم شيء ما هو، في النهاية، حقيقة.

Twitter: ketab_n

Twitter: ketab_n

خاتمة

Twitter: ketab_n

Twitter: ketab_n

● أريد أن أعود إلى هذا الحب الذي يجب ابتكاره من جديد والدفاع عنه. في كتاب «معنى ساركوزي» تطرح أن تجديد الحب هو نقطة محتملة واحدة للمقاومة في مواجهة بذاءة السوق والفوضى السياسية الحالية في اليسار. في رأيك كيف يمكن أن يشكل الحب نوعًا ما من المقاومة لعالم رئيس فرنسا رمزٌ فيه؟

■ أعتقد بأنه من المهم أن ننظر إلى فرنسا على أنّها دولة الثورات، وأرض الرجعية العظيمة على السواء. هذا يساعد في فهم فرنسا ديالكتيكيًا. غالبًا ما أتناقش مع أصدقائي الأجانب حول هذا، لأنهم ما زالوا يحملون تقديرا لأسطورة فرنسا الرائعة التي تقف دائما على حافة الاختراعات الثورية. لهذا، صدمهم حتما انتخاب ساركوزي، الذي لا يناسب تصوّرهم على الإطلاق... أقول لهم إنهم يبنون تاريخًا لفرنسا يتتالى فيه فلاسفة عصر التنوير وروسو والثورة الفرنسية ويونيو 48 وكومونة باريس والجبهة الشعبية والمقاومة والتحرير ومايو 68. المشكلة أن هناك جانبا آخر من القصة: ترميم 1815، مسيرات فرساي، الاتحاد المقدّس خلال الحرب العظيمة 14،

Twitter: ketab_n

بيتان، الحروب الكولونيالية الشنيعة و... وساركوزي. إذًا هناك تاريخان/ قصتان لفرنسا وهما متضافرتان. حينما تشعل أي هستيريا ثورية عظيمة إضراباً، تتقابل مع الرجعية الوسواسية. من هذا المنظور أعتقد بأن الحب في خطر كذلك. علاوة على ذلك، ارتبط الحب دائما بالأحداث التاريخية. ترتبط الرومانتيكية في الحب بثورات القرن التاسع عشر. اندريه بروتون هو الجبهة الشعبية كذلك، والمقاومة والصراع ضد الفاشية. كان حدث مايو 68 نقطة انطلاق عظيمة للتجريبيين في تناولهم الجديد للجنسانية والحب. لكن حين يصبح السياق معتماً ورجعياً، نجد محاولات عظيمة لإرجاع الهوية إلى قائمة الأعمال. يمكن أن تتخذ أشكالا مختلفة لكنها الهوية دائما. ولم يكن ساركوزي بليد البديهة ورد الفعل. كان هدفه الأول: عمالة أجنبية؛ وأداته: الوحشية، والتشريع القامع.

لقد حاول ذلك فعليا حين كان وزيراً للداخلية. فقد صَهَرَ خطابه المعاصر الهوية الفرنسية مع الهويات الغربية. لم يتردّد في القيام بدور كولونياليٍّ صغير في العلاقة مع «الرجل الأفريقي». إن المشروع الرجعي دائمًا هو الدفاع عن «قِيَمِنا» التي تفرغنا في قالب الرأسمالية العالمية باعتبارها الهوية الممكنة الوحيدة. تظل تيمة رد الفعل دائما هي تيمة الهوية الخام في شكل أو آخر. الآن، حين يكسب منطق الهوية المعركة، يصبح الحب مهدّدًا. فسوف يصبح انجذابه إلى الاختلاف، وبعده الاجتماعي وجانبه

Twitter: ketab_n

البربري، محل تشكيك بأنه في النهاية يتّصف بالعنف. وسوف يقومون بالدعاية لـ «حُبٍّ» آمن، ينسجم انسجاماً تاماً مع كل المسيرات/ الخطوات الآمنة الأخرى. وهكذا، أصبح الدفاع عن الحب الذي يتم انتهاكه وتخريبه بالقانون مسألة عاجلة الآن.

في الحب، بالحد الأدنى، نثق في الاختلاف عوضاً عن الشك فيه. في الرجعية، نرتاب دائمًا في الاختلاف باسم الهوية: هذا هو مبدأها الفلسفي العام. إذا أردنا، على العكس، الانفتاح على الاختلاف وتضميناته، أي أن يكون الجمعي العالم بأكمله، وإحدى نقاط الخبرة الفردية التي يمارسها هو الدفاع عن الحب. يجب مقاومة عبادة الهوية للتكرار بحب كل ما هو مختلف وفريد وغير مكرَّر إطلاقا وجانح وغريب. كتبت في كتاب «نظرية الذات»: «أن تحب هو ما لن تفعله مرتين».

● وبالمثل من منطلق هذا المعنى في فيلم جون- لوك جودار، مدح الحب، العمل السينمائي في شكل أنشودة موسيقية الذي ألهمنا عنوان حوارنا، يرسي التقارب والوفاق بين الحب والمقاومة...

■ بالطبع! يصف جودار دائمًا في أفلامه، لحظة تاريخية بعد لحظة، ما أعتبره نقاط المقاومة ونقاط الخلق أيضًا، وعمومًا يصف كل شيء يرى أنه يستحق أن يدخل ضمن تركيب الصورة. أعتقد بأن الأساسي بالنسبة للفيلم هو أن تعيّن موضع الحب

Twitter: ketab_n

بين مفهوم الجنسانية القوي البيوريتاني على السواء، والتوتر الغرامي الموجود أكثر في المرأة بحيث يواجه كل الرجال تحدي الانضمام إليهن أو قبول نفوذهنَّ في هذه النقطة. كنت أعمل معه في فيلمه التالي، حيث قد ألعب دور المحاضر - الفيلسوف على سفينة فاخرة، أو ربما لا ألعب هذا الدور، لأنه من يستطيع أن يعرف ماذا الذي سوف يفعله هذا الفنان في النهاية مع كل شيء يصوِّره؟ لقد أعجبت بدقّته الفريدة وبطبيعته المتطلّبة. والحب هو الذي على محك الخطر دائما. ومع ذلك، فالسوداوية التي تلوِّن كل شيء في جودار تعلّم الاختلاف بينه وبيني بشأن الصلة بين الحب والمقاومة. إنني بعيدٌ بعداً عصياً عن هذه الصبغة الذاتية، حتى حين يكون الحب على المحك.

● هل الانبهار بالمشاهير، تلك الآلهة الجديدة على جبل أوليمبس المتلفز، ينبثق من الخداع السياسي أو أنه دليل على الانجذاب إلى قصص الحب التي تأتي من معرفة الناس بكثافة الحب؟

■ هاتان طريقتان لقراءة هذه الظاهرة. من وجهة النظر السياسية، يصل المرء سريعًا إلى الاستنتاج بأنها مزيَّفة. تسلّي الناس وتبهرهم بهذه القصص وهذا يشتتهم عن المهم حقًا. في سياق السياسة، ما الشيّق في أن كارلا تجاوزت سيسيليا؟ لا شيء على الإطلاق كما هو واضح. لكنك تستطيع أن تحاول

Twitter: ketab_n

أيضًا قراءة الدعاية التي تدور حول هذه الأحداث بطريقة مختلفة بأن تسأل نفسك: لماذا هي فعّالة؟ لا بد أنها كذلك لأنه توجد مصلحة شاملة Générique في قصص الحب. لقد كان الحال دائما إضافة الدراما على قصص حب الطبقات العليا للناس العاديين. لماذا؟ توجد إجابتان محتملتان أيضا لهذا السؤال. يمكن أن أقترح ببساطة أن الأجابة تتصل بكلّيّة الحب: فربما حتى ساركوزي يعاني وهو ينتظر يائسا رسالة ما لا تصل أبدا. لو غيَّرنا مقياس المعايير؛ فانتقلنا من الحقائق السياسية إلى حقائق الحب، تجد النتيجة أن عدوّك السياسي يشبهك، وهو ليس أمرًا عظيمًا، لكنه مريح. الحب الذي يستطيع أن يجعل الملك يعاني إلى حد أنه يتواصل مع عبيده. يصبح العبد، طبقا لهذا المعيار، مَلِكاً. إنه الجانب الرومانسي من الحياة: الحب دائما في الهواء. لكنْ هناك تأويل ثانٍ: تبين هذه العمومية الظاهرية في الهوى كذلك أن هؤلاء الرفاق، الملك والرئيس والزعيم والأب والشعوب، ليسوا خارقين كما يبدو. يمكن أن يكونوا ديوثًا، هم أيضا. وبالتالي لا يوجد سبب أساسي لتبجيلهم أو الخوف منهم. وبهذا نحن نعود إلى السياسة أو على الأقل إلى عنصرها الأساسي الذاتي.

كما قلنا من قبل، هناك أعداء في السياسة. إذن فلن نقلق إذا عانوا في الحب. لن يعطونا أبداً هذا الشرف! لو أننا نملك أي وعي سياسي على الإطلاق، فلا بد أن نقول إنها ليست مشكلتنا

Twitter: ketab_n

لو أن زوجة ساركوزي تخدعه أو لا تخدعه. لكن يجب أن نقول كذلك إننا مهتمون بجلاء الحب، عند مستوى المعرفة التي تنشر لقيم الحب، المستوى الذي تعززه علاوة على ذلك المسيحية. هذا الجلاء جزء من حقل لا متناهٍ حيث تتشكل الشجاعة السياسية من مواد عَكِرَة وتبدأ دائما من موقع أن الأعداء لا يمتلكون دلالة فوقطبيعية ولا قوة خارقة.

ولكي أتجنّب الانغماس في القيمة الضئيلة الساركوزية، سوف أعطي مثلا على الحب الحاد الراقي من التاريخ الفرنسي: ذلك الحب، الذي في زمن **فروند**، ربط الملكة **ريجينت آن** ملكة النمسا بذلك السياسي العبقري والفاسد والمفسد **مازارن**. من وجهة نظر المتمرِّدين، أصبح هذا الحب عقبة رهيبة (لن تتخلى ريجينت عن رجلها) ومكوِّن حيوي في البلاغة الشعبية التي جسدت مازارن خنزيرًا منحرفًا. لا أجد طريقة أفضل لقول إن الصِّلات الغامضة التي توجد بين السياسة والحب، نوع من الانفصال الإسفنجي أو المَمَرّ المحرَّم، الذي يمكن أن يرويه المسرح فقط بطريقة مناسبة. كوميدي؟ تراجيدي؟ كلاهما. أن تحب يعني أن تناضل، في ما وراء العزلة، مع كل ما يمكن أن ينعش وجودك في هذا العالم. في هذا العالم أرى أمامي مباشرة ينبوع السعادة الذي يفيض مع الآخر عليّ. «أحبك» تعني: أنت ينبوع وجودي في هذا العالم. في مياه هذا الينبوع، أرى فَرَحَنا. وأرى فَرَحَك أولاً.

Twitter: ketab_n

أرى، كما في قصيدة مالارميه:

في الموجة التي تكوِّنها

نشوتك العارية.

Twitter: ketab_n

Twitter: ketab_n

المحتويات

مدخل موجز إلى فلسفة آلان باديو 7
مقدمة الكتاب..... 39
الفصل الأول: الحب تحت التهديد..... 43
الفصل الثاني: الفلاسفة والحب..... 51
الفصل الثالث: بناء الحب..... 63
الفصل الرابع: حقيقة الحب..... 73
الفصل الخامس: الحب والسياسة..... 85
الفصل السادس: الحب والفن..... 103
خاتمة..... 117

Twitter: ketab_n

تصميم الغلاف نجاح طاهر

آلان بَاديو

في مَدحِ الحُبّ

في عالم تشيع فيه النزعة الاستهلاكية، حيث يَعِدُنا التواعد عن طريق الانترنت برومانسية خالية من المخاطر، ويُرى الحب كشكل مختلف من الرغبة والمتعة. يؤمن آلان باديو بأن الحب مهدَّد.

بالنسبة لباديو، الحب مشروع وجودي، حدثٌ يغيّر فردَيْن إلى الأبد، يتحدّاهما "لينظرا إلى العالم نظرة اثنين لا نظرة واحدٍ" وهذا التحدي، كما يؤمن باديو، أهم طاقات الحب.

الحب، هو خبرة اثنين. نعيش، اثنين، خبرة الاندماج المخلص داخل الفكرة. خلال حدث اللقاء والإخلاص الذي يتكوَّن، نخلق معا اثنين بعد أن كنا وحيدَيْن. الرغبة الأنانية ليست حبا! من الضروري أن نصبح غير أنفسنا لكي نحب! هاهنا، نقيض لقانون الرغبة في حد ذاته، ضرورة نزع فردية الأنانية باسم الفكرة؛ فكرة أن نعيش منذ الآن فصاعدا اثنان، أن نتشارك الموقف من وجهتَيْ نظر. إذن ذات الحب ليس هو أو هي، بل ذلك الذي يتجاوزهما في نحن، وينسجم مع ذلك الواحد والآخر، بدون أن يُحدِثَ انصهاراً أبدا في أي وقت، فالانصهار ليس سوى وهم. في الحب يربط الإنسان نفسه بآخر من أجل أن يشكل ذاتا معه أو معها.

***

وُلد الفيلسوف الفرنسي آلان باديو في الرباط، المغرب، سنة 1937. من أهم مؤلفاته: "معنى ساركوزي"، و"الوجود والحدث"، و"الأخلاق: مقالة حول مفهوم الشر".

شغل كرسي الفلسفة في مدرسة الأساتذة العليا في باريس.

كتب باديو عن مفاهيم الوجود والحقيقة والذات.. يستخدم باديو مفاهيم محدَّدة بشكل متكرِّر لشرح فلسفته، من أهدافه تأكيد أن مفاهيمه للحقيقة مفيدة لأي نوع من النقد الفلسفي، ويستخدم هذه المفاهيم لدراسة الفن والتاريخ والانطولوجيا والاكتشافات العلمية.

ISBN 978-977-85115-6-7
9 789778 511567

الشبكة العربية للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - القاهرة - تونس